û-

الثورة اليتيمة والدموع الأليمة

محمود القطيفان

ý-

مقدمة المؤلف:

❁ كتاب "الثورة اليتيمة والدموع الأليمة" جاء هذا الاسم لهذا الكتاب لثورةٍ عظُم مصابها، وضعُفت حيلتها، فلم يكن لها نصير إلا الله، الكثير من أعلن تأييده ووقوفه مع الثورة ، لكن القليل من وقف معها بحق، حالها كحال اليتيم، الكثيرون يحبون اليتيم ويشفقون عليه لكن القليل من يمد يد العون إليه.

جاءت تسميتها باليتيمة لأنها لم تجد أحد يقف معها بإخلاص، ودموع اليتيم أكثر مرارة وحرقة من أي دموع أخرى.

❁ كتبتُه في عدة أفكار بموضوعات متفرقة بما كان يخص بلادنا من قبل الثورة وأثناء أحداث الثورة.

❁جمعتُ في مخيلتي أكثر من مئة وخمسين موضوع وفكرة عن الثورة ، حتى تكاملت جميع هذه الأفكار وكانت **"الثورة اليتيمة والدموع الأليمة"**

❁ عانيت كثيراً في تأليف الكتاب ، كانت في البداية عبارة عن تدوين معلومات دونما تواجد لفكرة الكتاب، وكانت المعلومات التي أدونها مثلها كمثل من يقتني سلاح في بيته يخاف الاعتقال منه، لذلك كنت أعيش في خطورة المداهمات وتفتيش المنازل، كنت في كل مرة أقوم بإخفاء الأوراق عند كل اقتحام .

❁تعرضت للاعتقال ثلاث مرات في أفرع المخابرات المختلفة لكن بفضل الله التهمة ليست الكتاب، لأنها لو كانت الكتاب لأُعدمت من أيام الثورة الأولى، ولم أغادر سوريا يوما ، فكنت المتابع لأحداث الثورة ولا سيما بأنني عشت الثورة منذ انطلاقتها في درعا البلد.

❁ يخرج كتاب " الثورة اليتيمة والدموع الأليمة " من داخل سورية تحت ركام الحرب، وزمان كثُر فيه السلاح والرصاص، لذلك يسطع الكتاب بسلاح جديد وهو القلم والورقة.

محمود القطيفان

الإهـداء

إلى من بفضله بعد الله رجعت العزة للبلاد، وروت دماؤه تراب هذا الوطن ليحيا شامخاً بعزٍ بعد الفساد، وضاقت به بلاده بعد ظلم لتنفتح له أبواب السماء، ومن حمل روحه على كفه ووهب نفسه وأغلى ما يملك لينهي عصوراً مُلئت بالاستبداد، ومن بفقده دمعت المقل ، وصنع الأحرار من بعده لا العبيد..... (الشهيد)

إلى من فقدت فلذة كبدها ، وقرة عينها، المحتسبة الصابرة ، تخر لصبرها الجبابرة، ومن رأت شهيدها بعد قوة وشباب ، ممداً رافعاً السبابة، فلا حزنت أعين الشهداء..... (أم وزوجة وابنة وأخت الشهيد)

إلى من قدم دمعاً على دم، ووصل الليل والنهار من الحزن والهم، وفقد فخراً سيبقى مثلاً يُحتذى به جيل بعد جيل ..... (أب وأخ وابن الشهيد)

إلى من نزف دمه ، وأعيته الإصابة عن إكمال مشوار الحرية، ومن رفعته الإصابة قدراً بتاريخ البطولة..... (جريح الثورة السورية)

إلى من صنع فجر الحرية في ظلام العبودية، وآلت به الأيام إلى القضبان الحديدية..... (معتقل الثورة السورية)

إلى الصامدين في ساحات المعارك ،ومن يخرجون في جنح الظلام ليدافعوا عن الكرامة ، ومن هم سائرون في درب الشهادة..... (ثوار سوريا)

إلى طفل سورية وطفل الحرية، ومن فقد نور عينه وسنده ،لن تعيش مكسور الجناح..... (يتيم سوريا)

إلى من افترش الأرض، وسكن خيمةً أظلته من بعد بيت عانق السماء بعزته، ومن أكرم لاجئه بالأمس، ومن قست عليه الحياة ليحل لاجئاً، حسبه وكفاه الله ونعم الوكيل..... (اللاجئين في مخيمات اللجوء)

إلى كل من ذاق مرارة الغربة،واكتوى بلوعة الفراق عن وطنه،وراقب أهله في وطنه،فعين بكت على بلده،وعين ناحت على أهله.... (المغتربين السوريين)

إلى من ثار لمظلمته ، وعانى من قلة حيلته ، وضعف قوته ، وهوانه على الناس، وضاقت به الدنيا بما رحبت،أمام فاجر لا يعرف إلا القتل والبطش.....

(الصابرون والصامدون على أرض سورية)

إلى قطعة مني وأنا قطعة منه، ومن تخلى عنه البعيد والقريب لأعداء يتربصون به الشر آناء الليل وأطراف النهار، وأعادوه بتآمرٍ عليه إلى عصور قديمة ليبقى ضعيفاً مهزولاً.....وطني،،..... (وطني سورية)

العين لا تقاوم المخرز

في سوريا إذا أردت أن تقدم على شيءٍ مستحيل يقال لك المثل (العين لا تقاوم المخرز) ، لكن أيضاً في سوريا العين قاومت المخرز وانتصرت على المستحيل.

في بداية أيام المظاهرات السلمية، تخرج المظاهرة أمام مئات البنادق والرجال المجرمة، ثم لاحقاً تزداد صعوبة خروج المظاهرة ، لأنها سوف تخرج المظاهرة ، ومن ورائها حاجز وعليه قناص ، ومن أمامها قناص ، ورجال الأمن يتربصون بهم في الشوارع ، ومع ذلك سطرت المعجزات في خروجها واستمرت ، واستمر توالي سقوط الشهداء، الشهيد تلو الشهيد ، حتى تبددت وتحولت مسلحة ، أيضاً تتابع البطولة فيها ، والمعجزة بما كان يصنعه أبطال الجيش الحر عندما يتوجهون لتحرير حاجز من حواجز المدينة....

حيث كانوا أقرب إلى هجمات عدوهم من في الحاجز من رصاص وقذائف، وهذا طبيعي ولكن ليس الطبيعي هو ما كانوا يتلقونه!

كانت تتساقط عليهم قذائف الهاون حيث التشظي، وقذائف المدفعية، وراجمات الصواريخ ، وغارات جوية متكررة عليهم، كل ذلك وسلاحهم غير مكافئ كماً ولا نوعاً، هذا ما كانوا يتلقونه أثناء ضرب حاجز من الحواجز أو نقطة عسكرية أو كتيبة أثناء تحريرها، ومع هذا كله يأبى الأبطال إلا ودخوله وتحريره ليرسخوا مبدأ " ما أُخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة "وبذلك تقاوم العين المخرز في سوريا وتنتصر عليه.

شمس سطعت ، وظلمة انقشعت، وها هي ثورتنا اندلعت، وفي الثامن عشر من أذار أُعلنت، حرية حرية أصوات تعالت، أركان النظام لها انهزت، أول قطرة دمٍ للملايين أحيت،

أصوات المظاهرات تعاظمت ، بانياس لنا استجابت، دوما وحمص بنا لحقت، حماة بجرحها نهضت، اللاذقية للنداء لبت، ريف دمشق أرعبت الأسد حين كبرت، دير الزور برجالها استأسدت، إدلب بقوة تواصلت، حلب لصمتها رفضت، أحياء دمشق بالأسد مارضيت، القنيطرة للطغيان طردت، كرة الثلج كبرت ، سوريا بأكملها انتفضت، مظاهرات بالشوارع ملأت، بالرصاص قمعت، بسلميتها شهوراً استمرت، قوات الأمن بها بطشت ، بالرصاص أبناؤها قُتلت، الاعتقالات والاقتحامات أُنتهجت، كرامة دنست ، أعراض هُتكت، مساجد خربت، بيوت أُحرقت، أرزاق ضُيعت، رجال ذُلت ، بشرفها أُهينت ، السلمية ما عصمت، السلمية مع القتل ما اجتمعت، الدفاع عن النفس شريعة وجبت، مجموعات صغيرة تسلحت، للمظاهرات السلمية حمت، قوة عظيمة واجهت ، بتضحياتها عظمت، كتائب تحولت ، بطش قوات النظام زادت، من المدنيين انتقمت، المدفعية قصفت، الهاون على الجدران تشظّت، والطائرات أحمالها ألقت، الراجمات بحممها أحرقت، أطفال قُتلت، أكباد والديهم أُحرقت، نساء رُملت، أطفال يُتمت ، رجال عُذبت، زروع أهلكت، دموع جفت، آهات تعالت، دعوات تناجت ، بعد الله أخوة استغاثت، لبى النداء أحرار قلت، وللنظام شياطين دافعت، الجامعة بالتنديد اشتهرت، والأمم المتحدة قلقت، سوريا قد انهارت ، بأغلى ما تملك الناس صمدت، بكفاحها مازالت، الكتائب لألوية وفرق تحولت، أروع البطولات سطرت، للريفين سوريا شكرت، ريف حلب لأحداث الثورة حولت ، ريف دمشق بوجه تحالف غادر صمدت، الثورة مستمرة ما زالت، عن الحكم نفس بشار ما تخلّت، ولا ندري متى نقول انتهت، تكبيرات على المآذن تعالت، أجراس الكنائس قرعت، الطاغية سقطت ، البسمة قد رجعت، وربوع الشام أزهرت، غبار حزنها نفّضت، إنِ المدة طالت ، نفوسنا بالنصر أيقنت ،.....نفوسنا بالنصر أيقنت.

بسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم

الثورة السورية قامت ضد الظلم والطغيان والاستبداد، لتحطم قيوداً وتهدم جداراً جثى على صدور أبنائها عقوداً طويلة كاد أن يخنق أبناءها حتى استطاعوا أن يهدموا هذا الجدار ويحطموا القيد بأول صرخة حرية وبأول قطرة دم حمراء طاهرة على ثرى طاهرة ، ولربما صرخة في وجه الاستبداد فاقت ألف ضربة موجهة ضد الاستعمار، ولطالما شاهدنا وسمعنا من آفات المستعمر أنه لم يجرم بحق شعبه كما أجرم المستبد، يكفينا قولاً أن المستعمر يسعى إلى أهداف يغزو عدوه ، فليس البلد بلده ، ولا الشعب شعبه، ولا الأرض أرضه ، فيعيث فيها فساداً كيفما يشاء .

مازالت تلك الكلمات يتردد صداها في أذني التي سمعتها من أمهاتي السوريات ، وكبار السن يقولون : "اليهود أهون منكم" أي منكم يقصدون بها قوى الأمن والقمع ، ورأينا في حرب غزة ٢٠٠٨م لم يستهدف اليهود المشافي ولا المساجد، وما عاصرناه من المستبد عرفنا رأفة المستعمر عن المستبد ، كلاهما مجرم ولكن المستبد أشد إجراماً، حيث ومن أول يوم دُنست المساجد ، وأُغلقت المشافي في وجه من أصيب من بطشهم .

كنا نتوقع أن تجوب دبابات في شوارعنا ، ويُبث الرعب في قلوب صغارنا ، كنا نتوقع أن تعيش المدن حصاراً خانقاً إن لم ترضخ، ونتوقع أن تأتي أيام تحل فيه دماؤنا كما حلت دماء إخوتنا في فلسطين، لكن المصيبة الكبرى التي خيبت آمال الناس أن هذه الدبابات والمدفعية والطائرات هي عتاد جيشهم، وهؤلاء العسكر هم من أهلهم سوريون، بقي الشعب يذخر الجيش ليصد أي عدواناً على الأراضي السورية ، لتتوجه سهام نيرانه إلى الداخل السوري لا إلى خارجه ، ولك أن تتصور بأن تربي ابناً لك خمسة عشر سنة أو عشرين ثم يخرج عاقاً لك، فكيف بمن عق بعد أربعين سنة من الكد والعطاء؟!!

تلك هي الصفعة الكبرى التي ذاقها الشعب السوري ، لكن ومع تخلي الجيش عن شعبه كان الكثير من السوريين يتوقع ما فعله جيشه لأنه يعلم جيداً على ما رُبي عليه هذا الجيش من عقيدةٍ فاسدة ، عقيدة الشخص الواحد، لكن مع ذلك كله كان هناك بصيص أمل عند الشعب بأن يقف جيشه إلى جانبه، أو على الأقل يقف على الحياد من قتل شعبه، كان دافع هذا الأمل أننا نعيش في القرن الواحد والعشرين ، عصر الحريات وعصر الإعلام، فليس من المعقول أن تجري تلك الجرائم والإبادة والمجازر كما جرت في أحداث حماة ١٩٨٢م، اليوم هناك إعلام سيكشف هذه الجرائم أمام المنظمات الدولية ولن تسكت هذه المنظمان عن الإبادة ، ومع ذلك كله كشف الإعلام عن المجازر ووقفت تلك المنظمات عاجزة أمام الشعب الذي يذبح يومياً.

أما الدافع الثاني بأن الجيش لن يتخلى عن الشعب:

هو أن هناك أربع ثورات قامت قبل ثورتنا تدخل فيها الجيش بشكل إيجابي باستثناء ليبيا ، ففي مصر وتونس وقف الجيشان حامياً للشعب، وفي تونس انحاز قسم من الجيش للثورة بما يحقق التوازن ، أما في ليبيا انحازت كتائب القذافي عن شعبها إلى قائدها ضاربةً بعرض الحائط ما يرنو إليه الشعب وراحت تذبح وتقتل بشكل عشوائي ،لكن المجتمع الدولي سرعان ما أعلن تدخله لحماية المدنيين العزل، قام ووضع حداً لإجرام كتائب القذافي ، السوريون قالوا: أن عقيدة جيشهم فاسدة كعقيدة كتائب القذافي وأشد فساداً، ولم يسمح المجتمع الدولي لهم بالإجرام و كما وضع حداً لكتائب القذافي.

وأنوه أن ثورتنا لم تقم كمراهنة على دور الجيش بأنه سيقف معنا أم لا ، ولو كان كذلك لما استمرت حينما انحاز الجيش لقائده، وأن ثورتنا لم تقم كتقليدٍ للثورات السابقة ،كما قال عنها بشار ذات يوم، وإنما الثورات العربية مؤثراً ، وهي ريح هبت على شعوب المنطقة لن

تغادر إلا ومعها رؤوس الطواغيت الذين عاثوا في بلادهم فساداً ، وأذاقوا شعوبهم ويلات العذاب.

وبعد ذلك عندما وجد الشعب السوري جيشه تخلى عنه وراح يبطش فيه على أعين العالم الذي تخلى عنه أيضاً، لم يجد الشعب إلا أن يواجه مصيره وحيداً مصراً على ما قام عليه ومواجهاً لآلة القتل والدمار، وكان ذلك سبب الذي أطال أمد الثورة وزاد عدد شهدائها، ومع ذلك استمرت الثورة وبزخم قوي بدأت تتوسع حلقاتها حتى استفحلت، وتوسعت لتصل ما وصل الليل والنهار على أرض سوريا ، سواء على صعيدها السلمي أم في كفاحها المسلح فيما بعد، وهذا ما كان يدفع إلى التفاؤل والنصر الحتمي لهذه الثورة ، فالليل مهما طال لا بد من طلوع الفجر ، وظلمة الاستبداد مهما طالت لا بد وأن تشرق شمس الحرية.

ú ý

القسم الأول

ú ÿ

مملكة الخوف .... جمهورية الصمت

عاشت سوريا ما يقارب خمسين عاماً في ظل حكم البعث، ومن المعروف أن ثورة الثامن من أذار ١٩٦٣م كانت انقلابا، انقلب فيها حزب البعث وتسلم زمام الحكم ، وكان حافظ الأسد آنذاك وزيراً للدفاع ، وهو الذي نفذ الانقلاب ليستلم السلطة بما سمي بالحركة التصحيحية لاحقاً، وسن دستوراً لسوريا وفصّل مقاسه بما يلائم حزب البعث ١٩٧٣م، بل وقد جاءت مادة فيه بأن حزب البعث هو الحزب القائد للدولة والمجتمع هذا وإن وُجد حزباً غيره ..، بقيت هذه المادة مع هذا الدستور زمناً طويلاً دام ما يقارب أربعين سنة حتى أُسقطت وأُسقط معها دستورها بأدي أصحابها، وبضغط شعبي لكن من نوع آخر وهو ثورة الكرامة في الثامن عشر من آذار، كانت الثورة هي الضاغط الأكبر لإسقاط الدستور بتغيره وتغير هذه المادة مكرهين، عاش السوريون في ظل حكم الأسد الأب والابن في خوف مطبق ، وكبت للحريات ، ونهب للخيرات، حتى أنه لا يستطيع أحد أن يناقش أو يتكلم في شيء حتى ولو كان في غلاء سعر من الأسعار، لكي لا يخص الدولة في الحديث ، وكان مما كبت طموح الناس في الجنوح للحرية ، وفض الاستبداد ما قام به حافظ الأسد من مجازر في حماة ١٩٧٦م ،١٩٨٢م أيضاً في إدلب ،وجسر الشغور، وحلب وغيرها، بقيت مشاهد الإجرام، والكبت ، والقتل ، عالقة في أذهان السوريين، حتى أن شبحها لم يغادر أذهاننا نحن الذين لم نكن حاضرين وقتها ، ولكن كان آباؤنا يخوفونا على استحياء يتلك الذكريات المؤلمة، يقص لي رجل مسن كان قد حضر أحداث حماة ، فيروي لي القصص المؤلمة من جرائم القتل، والقمع ، السجن ، فيقشعر بدني من هذه القصص ، وكنت أقول في نفسي لم أسمع بمثل هذه القسوة من قبل ، حتى رأينا أقسى منها في عصرنا الحديث من بعد ثورتنا، أبقى هذا الرعب السوريين في خوفٍ دائم بما يخص عائلة الأسد، وبما يخص الحكم أو أي شيء يتعلق به، فكان لابد من إظهار التقديس للدولة رغبة أو رهبة .

ما عشته في ظل حكم الأسد كان متساوياً ومنقسماً ما بين الأب والابن، وإن كان الثاني أكثر تركيزاً لأنه كان الأسوء من أبيه، وكلاهما من زمرة الإجرام، أما الأب حافظ الأسد ماضيه إجرام وانقلاب، وصعود على السلطة، وغوامض كثيرة خاضها في حكمه ، فكان من الطبيعي أن لا يجرؤ أحد وأن يرفع بصره تجاه أي تمثال من تماثيله المنتشرة من درعا جنوباً إلى حلب شمالاً ، ومن دير الزور شرقاً، إلى حمص غرباً، أينما اتجهت في سوريا في كل محافظة من محافظاتها يتربع عليها صنم للأسد، يُجدد ويُعنى به عناية فائقة ، ففي محافظتي الصغيرة درعا وحدها ستة تماثيل، اثنان منها جسداً كاملاً، وأربعة رؤوس عند كل مدخل للمدينة ، لكنها هُدمت بأكملها في أول الثورة ، وكان حافظ الأسد له من الشعار ما يمجده ليس على صعيد سوريا فحسب بل بات بطلاً على صعيد الأمة العربية "حافظ أسد رمز الأمة العربية".

وإليكم قصتين ما كنا نفعله ونحن صغار، وجرت مع كل أطفال سورية.

الأولى:

حين كنا طلاب المدرسة الابتدائية ، كنا نفرح بعطلة آخر الأسبوع التي كانت تأتي يوم الجمعة بعد ستة أيام دراسة، لم نرضَ ونحن إلا وأن نواسي القائد ونشركه في فرحتنا، وحفظنا بذلك أغنية عامية كنا نغنيها في المدرسة وفي الطريق إلى البيت يوم الخميس ونبقى نرددها طوال ذلك اليوم، إذ تقول هذه الأغنية:" بكره الجمعة ، طفت الشمعة ، لا تزعل يا أبو باسل ، عندك بشار وماهر ، وعندك بشرى الأسدية ، تسوى كل الأمة العربية"

ليأتي يوم الجمعة لاحقاً يجعل نهاية الأسد وعائلته وهو يوم الثورة.

أما القصة الثانية:

عندما تأتي غيمة الشتاء حاملة أمطارها بعد فصل الصيف ، نخرج فرحين بها لنملأ الشوارع تحت المطر ، لا لنشكر المولى على نعمة المطر هذا لم يعلمونا إياه منذ نعومة أظفارنا

بل علمونا أن نبارك للقائد بالمطر، أيضاً بأغنية عامية تقول:" شتي ...شتي ...يا دنيا، على سطوح سوريا، سوريا جابت ولد ، سمته حافظ أسد ، حافظ أسد يا عيوني..." .

هذا ما رأيته وأذكره من عشر سنوات من حكم الأسد الأب ، أما الابن عايشته منذ استلامه الحكم حتى انطلاق الثورة ضده.

مات حافظ الأسد ، وفي يوم وفاته قامت دوريات الأمن بإغلاق كافة المحال التجارية، وعملت حظراً للتجوال لمدة ثلاثة أيام لا أحد يخرج فيها إلى الشارع حداداً على روح القائد ، وأذكر بعد انقضاء مدة الأيام الثلاث خرجنا للعب بالكرة في إحدى الساحات، يلمح أحدنا دورية أمن قادمة باتجاهنا ، لنهرب من الساحة إلى بيوتنا، قبل أن يعتقلوننا.

عدل بشار الأسد الدستور بعد أن كانت تنص إحدى فقراته :

إن رئيس الدولة يجب أن يكون في سن الأربعين، عُدلت وخُفضت عشر سنوات لتطال سن الرئيس بشار الذي كان آنذاك في سن الثلاثين، استلم بشار الحكم واستفتى الشعب عليه ، وشكل الاستفتاء في سوريا بأن تكون البطاقة (نعم) بالأخضر، و(لا) بالأحمر، والويل والثبور لمن اختار لا ، هذا وإن تجرأ أحد من الناس أن يختارها، في كل صندوق للاستفتاء تكون لجنة أمنية تراقب عملية الاستفتاء، الاستفتاء وراء الستار كان ممنوعاً، ومجرد السؤال عنه سيعرضك لخطرٍ كبير، فكان من الطبيعي أن تخرج نسبة الاستفتاء ٩٧% ولا أدري أين تذهب ٣%، استلم بشار الحكم بموجب فوزه في الاستفتاء المزيف الذي يسمونه باختيار شعبي، خرج بعدها ليؤدي اليمين الدستوري ، وتأدية اليمين الدستوري أيضاً لها مراسم خاصة، حيث يخرجون الناس إلى الشوارع في مسيرات مؤيدة له، ومؤيدة لقسمه ومشروعه الرئاسي الذي لم تسمعه بعد إلا أنها أُجبرت ومن اللحظة الأولى بالهتاف

" بالروح بالدم نفديك يابشار"

ونقلت كلمته في كافة الشوارع بمكبرات الصوت ، بل كان هناك أمر بأن تنقل على مآذن الجوامع ، ونُقلت حيث عُطّل أذان الظهر لأن الكلمة كانت متواصلة ، الكل تفاءل ببشار في البداية بأنه يحمل شهادة في طب العيون ، ولا بد أن يكون أكثر ليونة من أبيه ، دخلت إصلاحات في عهده الهاتف النقال وخدمات النت ،ملأت صوره الشوارع والملاعب والساحات العامة والحدائق ، في مكاتب المديريات العامة منها والخاصة ، وفي المؤسسات الحكومية، وفي الكتب المدرسية .....، ولو رُتبت الدول من حيث الأكثر تعليقاً لصور رؤسائها ، لكانت سوريا في المرتبة الأولى ولا أبالغ، حيث أينما وليت وجهك في سوريا وجدت صورة للابن، وتمثال للأب ، وإذا ما وقع نظر أي مواطن سوري إلى صورة من صور الرئيس، ارتد إليه طرفه خاشعاً من الخوف، ولا يستطيع أن يعيد البصر إليها مرة ثانية مخافة أن يراه أحد يطيل النظر في القائد .

فإذا نجحت في المدرسة بفضل القائد، وإذا تفوقت بعملك بفضل القائد، إذا حزت على أي بطولة بفضل القائد، إذا حصّلت ثروة بفضل القائد، إذا ركبت سيارة بفضل القائد، وإذا بنيت بيتاً بفضل القائد ، وإذا أمطرت السماء بفضل القائد، وإذا أنت إنسان بفضل القائد، حتى كتابي هذا هو بفضل القائد!

وخرج القائد ذات يوم يقول سأجعل كل مواطن عربي يتمنى أن يكون سوري، حتى باتت العرب بأسرها تأنف من السوري، ولم يجد السوري من يخفف عنه مصيبته ،وكل من كان لديه تصفية حساب أخرجه على الشعب.

وكلام القائد مقدس بتقديس أي كتاب سماوي، وكنت إذا أردت أن تدعم كلامك في أي مناسبة من المناسبات فإن كلام القائد الأب او الابن هو الأنسب، هكذا علمونا في المدارس، إذا أردت أن تستشهد بكلام فمرجعك إلى القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف ، أو قول للرئيس، وتأتي بعدها المصادر الأخرى كالشعر و الحكم .....

أذكر في نهاية مرحلة التعليم الأساسي ، كانت وزارة التربية هي من تشرف على وضع أسئلة الامتحانات وتصحيحها ، أحضروا في مادة اللغة العربية كتابة موضوع عن حيوان صغير ، والطلاب لم يحفظوا شواهد يخص هذا الموضوع ، لأن كل ما نحفظه من شواهد تخص الوطن والشهادة، لم أجد حيلة في هذا الموضوع إلا أن أكتب أقوالا وشواهد وأضعها على لسان القائد الخالد، ليس بشار بل أبيه لأن أقوال بشار حديثة أما أقوال الأب فهي قديمة وأكثر قدسية وكتبت ما يقارب أربعة شواهد وكان من بين ما كتبته، يقول الخالد حافظ الأسد فيما يخص العطف على الحيوان:" بعطفنا على الحيوانات الصغيرة، والضعيفة يلهمنا الله القوة ، ويرحمنا في بلادنا" وألصق هذا الكلام بالقائد الخالد، ليقرأه المصححون وأنال درجة رائعة في هذا الموضوع.

أما حزبنا حزب البعث العربي الاشتراكي، القائد العام للدولة والمجتمع ، فكان انتماؤنا وانتماء أي مواطن سوري إليه طبيعياً، والقليل جداً من لم ينتسب لهذا الحزب، لأنه إذا تقدمت لأي وظيفة من وظائف الدولة كانت فرصتك أقوى إذا كنت منتمي لحزب البعث ، وهناك وظائف لا تسلم إلا لمنتسبي الحزب، وإذا أردت أن تجري أي مقابلة توظيف تُسأل عن الانتماء للحزب قبل أي سؤال آخر، فما كان من غالبية الشعب السوري إلا أن تنتمي لهذا الحزب، فمن الأجدر أن نسمي الشعب السوري بشعب البعث لكثرة المنتسبين لهذا الحزب، نشأنا وترعرعنا عليه، حتى في طفولتنا وعلى مقاعد الدراسة حفظنا نشيد البعث الذي كنا ننشده بين الحصص وتعلمناه في دروس الموسيقا والنصوص، وربما في دروس الرياضيات أيضاً، كلمات رنانة جميلة لا نعرف معناها جعلنا منها أهزوجة مع كل كتاب ندرسه :

يا شباب العُرب هـــيا وانطلـــق يا موكبي

وارفع الصـــــوت قويا عاش بـعـــث العرب

وحد الأحـــــرار هيا وحد الـشعـب العظيم

نحن في البعث التقينا يوم فـجرنـــا النهار

قادر يا بعـــث قادر أن تضيء الحالكات

فاملأ الدنيا بشـــائر بالشمـــوس القادمات

جاءت هذه البشائر من حافظ الأسد وبشار على مر أربعين سنة .

أما شعار البعث الذي تُفتح به المديريات الحكومية، حتى المدارس يصطف الطلاب في كل صباح في ساحة المدرسة لا لتعليمهم بعض السلوكيات التي تهم حياتهم ومدرستهم، ولا لتعليمهم بعض الأخلاق التي يرتقون بها ، وإنما لترديد شعار البعث ، حيث يقف المدرس ويقول بأعلى صوته :أمة ..عربية ....واحدة ، فيجيب الطلاب بصوت عالي: ذات رسالة خالدة ،يعيدها المدرس ثلاث ورباع لينتقل إلى الجزء الثاني منه حيث يقول بصيغة الاستفهام:أهدافنا؟ فيجيب الطلاب : وحدة .....حرية .....اشتراكية، هذا الشعار كان ملازماً أي طفل سوري بأي مدرسة كانت.

لكن الغريب في الأمر عندما قامت الثورة لعن أصحاب الشعار نفسه الأمة العربية الواحدة بزعمهم أنها تآمرت عليهم، أما أهدافنا التي كانوا يتغنون بها الوحدة والحرية والاشتراكية ، قُتل أكثر من مئتي ألف سوري من أجل ركن واحد من أركان الشعار (الحرية)، أما الوحدة فأين الوحدة من أراضي قُسمت ما بين الجولان المحتل ، ولواء الإسكندرون، ولا ندري ماذا يُقسم لاحقاً، لكن الشعب السوري أوعى وأكبر أن تُقسم أرضه على أساس طائفي ، فالمستبد فرق بين أبناء الوطن أكثر ما فرّقه المستعمر، لكن يبقى الوطن واحداً مهما اختلف أبناؤه.

û û

وهؤلاء الذين قدسوا تلك الشعارات ، وصدعوا رؤوسنا فيها لن تنفعهم ويعلمون أنها كذب ، لأنه في إحدى الاقتحامات الأمنية ألقوا القبض على أحد الأشخاص ممن هم فاعلون في حزب البعث ، سارع في القول لهم: إنني أنتمي لحزب البعث ، وأنا مع الدولة لعلها تشفع له ، فقال له أحد العناصر الأمنية :"يلعنك ويلعن الحزب"، ويضربه بأخمص البندقية ويعتقلوه.

وهكذا استمرت مملكة الخوف وجمهورية الصمت ،هي تحولت إلى مملكة بالخوف الرهيب ، وبصمتها تبقى جمهورية ، لا أحد يستطيع أن يناقش أو يتكلم في أمر مهما كبر هذا الأمر أو صغر فيما يخص الجمهورية، بل وأصبح محافظ كل محافظة لا تستطيع أن تتكلم في وجهه أي شيء ما عليك إلا السمع والطاعة، حتى وأن ترفع شكوى ضد شرطي للمرور لا تستطيع ، وازداد الظلم والفساد وأكل حقوق الناس حتى تفاقم وزاد الأمر بما يخص كرامة المواطن فضلاً عن حريته المسلوبة ، وازداد التضيق أيضاً على قوت يومه ، كل هذه المضايقات شجعت الناس بأن تقول للظلم: لا ، وأسرعت في إشعال ثورة الكرامة في ٢٠١١/٣/١٨م.

û ý

الطغاة في أرضنا تستنسر

قيل لأحد الرؤساء وكان حديث العهد في الرئاسة:

"احرص ألا تضع اسمك أو اسم زوجك على مدينة من المدن، أو مدرسة وُجدت من قبل لم يكن لك عليها طائل، وكنت سميتها عنوة من أهلها ، عهدك زائل والمنافقون من حولك زائلون، وإذا أردت ذلك فكن الصانع الفاتح سيحبك شعبك وحده ويضعون اسمك في أوسع أبواب مدنهم".

كيف لو سمع الحاكم والمحكوم بالأسد وحكمه ؟!!!!!

مشفى الأسد، ، مكتبة الأسد ، حديقة الأسد ، معرض الأسد، مدينة الأسد، ضاحية الأسد، متحف الأسد، كلية الأسد، لتصل إلى سوريا بأكملها سوريا الأسد، لم يستأسد على سوريا إلا بطغيانه وبطشه، وكأن سوريا قد خُلقت لهم ولعائلتهم ، سوريا الشعب والمجد والأخلاق تُستبدل كل هذه القيم بالأسد، فهو يمثل كل شيء في وجود سوريا، وكأننا نعيش في غابة من الغابات ويسيطر عليها قانون الغاب ، وملكها أسد كاسر لا يتغير ، وعائلة الأسد القوية تأكل ممن حولها من الضعفاء.

لا خوف على مستقبل سوريا ولا خوف على شعبها ولا هم يحزنون مادام أسد يورث عن أسد، أسد من بعد أسد ، الأب أسد ، والابن أسد الصغير أسد والرضيع أسد، والميت أسد، والحي أسد، حتى المرأة العجوز أسد، العائلة بأكملها أسود، لكن من تحكمون؟؟؟

وهل تحكم الأسود صائديها؟؟!!!!

يقال إن الطاغية لا يولد بطبعة طاغية وإنما يستمدها من خلال حكمه وفترة إقامته في سلطته، إلا طاغيتنا فقد أُشربت في عروقه وعرق عائلته بأسرها، أخذوا طغيانهم من أبيهم، و سلم السلطة الطاغية الأب للطاغية الابن ، ولو تسلمها غيره من العائلة لكان أطغى منه.

تسلم الطاغية السلطة كإنسان متفهم ظاهره فيه الرحمة والإنسانية، وباطنه يخبئ الخبث والعذاب والويلات لشعبه، أحاطت بالطاغية زمرة من المجرمين ممن عاصروا الطاغية الأب ونقلوا ماكان يبطشه الأب إلى الابن، وبعضهم ولد على الإجرام أو تعلم من أبيه، ربما الثاني يكون أشد إجراماً ممن تعلم منه، سارت هذه الزمرة المجرمة على ربط مصيرها بمصير الطاغية ، راحت ترتكب أشد مظاهر القمع والقهر والاستبداد للبقاء والسيطرة، مما جعل الخلاص من هذه الزمرة الفاسدة لا تنتهي بالخلاص من شخص واحد هو رئيسها الحاكم ، وإنما أصبح نظاماً مجرماً وزمرة قاتلة، فالخلاص الوحيد هو الخلاص من هذه الزمرة كاملة ، ليزول الظلم والبطش، لأنها باتت أمراض سرطانية تنخر في جسم الوطن لا سبيل إلا استئصالها من أجل سلامة الأوطان.

عملت هذه الزمرة على تقريب من يحقق مصالحهم وأبعدت ونكلت ممن لا يمكن أن يحقق مصالحهم ومطامعهم ، وعمدوا إلى تحويل الطاغية الأكبر إلى صنم ، ينقص أن يعبد هذا الصنم من دون الله، وجعلوا الطاغية الأصغر صورة مقدسة ، وإنسان معصوم عن الخطأ ، وعاثوا فساداً في الأرض وأهلكوا شعوبهم.

وطاغيتنا كغيره من طغاة عصره في الممارسات والتنكيل، إلا أنه انفرد في بعض الأمور جعلته يدخل تاريخ الطغاة من أوسع أبوابه.

كنا نتمنى أن في عصرنا الحديث أبطالاً كالذين سطر التاريخ قصصهم، وكنت أتساءل في نفسي من هذا الحاكم الذي سيسجله التاريخ في بطولته وعدله؟ ومن هذا الحاكم الذي ربما

يحرر بيت المقدس ليسجله التاريخ إلى جانب صلاح الدين ؟أو ذاك الحاكم الذي يملأ البلاد عدلاً؟

كنا نتمنى أن نرى أو نسمع بحادثة كحادثة عمر بن الخطاب حين قصده رسول كسرى ، ولم يرَ ذلك الرجل الذي اهتزت منه عروش كسرى وقيصر خوفاً قد أُحيط حوله الحرس العظيم ، ولم يجد قصراً شامخاً وحين سأل عنه أشاروا إليه بذلك الرجل النائم تحت الشجرة، فوقف مندهشاً ومستغرباً وقال قولته الشهيرة: "حكمت فعدلت فأمنت فنمت" ، وطاغيتنا لم ينم ولم يدع أحداً من شعبه ينام.

بل وقال عمر يوماً: " والله لو أن بغلة عجماء تعثرت في شط الفرات لكنت مسؤولاً عنها ، لماذا لم تفتح لها الطريق ياعمر"

فكيف بمن ملك البلاد واستُأمن على أهلها ودمائها وأعراضها ، فلم يترك شيء فيها مُستأمن ، وسالت الدماء في الطرقات، ليس طريق واحد تعثرت فيه دابة بل طرقات سالت فيها دماء أهلها ، وكنا نحلم أن نرى أحدهم مطبقاً قولاً وفعلاً ما قاله أبو بكر الصديق حين تولى الخلافة:" الضعيف فيكم قوي عندي حتى أُرجع له حقه ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آأخذ الحق منه إن شاء الله"

وهناك أمور التمسناها في طاغيتنا أظن بأنها تنطبق على كافة الطغاة منها:

تميز طاغيتنا في الانفراد بالرأي والقرار ، وعدم احترام القوانين والأعراف، والبطش بكل من لا يتفق معه ويلبي رغباته، وحرص الطاغية على إظهار حب الوطن والاستعداد للتضحية في سبيله ، وسلامة أرضه من أي اعتداء خارجي ولا سيما إن كان صهيوني ، نخص الصهيونية لأنها ارتبطت عقوداً طويلة مع ما تسمى المقاومة والممانعة، وجزء من البلاد محتل منذ عشرات السنين وغارات إسرائيلية متكررة وخروقات أمريكية لبلادنا، ولم نرَ أي رد، ولمَ

هذه المقاومة والممانعة إلا ضد الشعب الأعزل لأنه طالب بحقه المسلوب ، ولا ندري لعل مفهومه المقاوم كانوا يقصدون به الكرسي ووجوده.

– والطغاة يظهرون حبهم لشعبهم وحرصهم وسهرهم على أمنه وسلامته ، وسلطة الشعب فوق كل ذي سلطة، وماذا يقول الشعب يُنفذ،وسنطرح أي أمر يخص الدولة على استفتاء شعبي ،لأن الشعب هو مصدر السلطات، في حين إذا تعالى صوت الشعب رافضاً إياهم دفنوه أحياء غير أموات ويخرجون في جنائزهم، وشرّدوهم في شتى البلدان ثم يتحدثون عن الشعب لأن الشعب شعبهم ولا أحد يخصه أمره.

– بعض الطغاة من يسمح بالنقد، وما سمح به إلا في حاجة في نفس يعقوب،ألا وهي امتصاص غضب الشعوب عليهم والمتزايدة يوماً بعد يوم، حتى إذا ما طغى فسادهم في البلاد وجد الشعب الكلام لينفس عن همه ، ويصل هذا النقد أحياناً إلى رأس النظام ، ولا يحرك هذا النظام ساكناُ مادام كلاماً ولا يغير من الواقع شيئاً، إلا أنه في سوريا حتى النقد من أعظم الكبائر بحق الفرد ويعاقب عليها قانون الغاب ، لأن الطاغية معصوم عن الخطأ وكأنك قد انتقصت من الكمال حين تنقده، فتحل عليك لعنة الأرض والناس أجمعين بغضب طاغوت الدولة.

والطاغية يحيط نفسه بعدد من المثقفين والسياسيين ورجال الدين من مختلف الطوائف ، ممن يسمون "رجال السلطة" ليجعلهم واجة له لتبرير أعماله الإجرامية والدفاع عن قراراته ، وليكونوا أول المصفقين والهاتفيين والناعتين(بالتاء أو بالقاف). كمن قال للطاغية : الوطن العربي قليل عليك ويجب أن تقود العالم ! ثغاء .....عواء..... تصفيق.

والطاغية له وسائل إعلام خاصه به تدعي الشعبية بشعبية وطنها لكنها للطاغية أقرب، شغلها الشاغل تمجيد وتعظيم طاغيتها ،وعندما تتابع هذه الوسائل المرئية منها أو المسموعة أو المكتوبة تجد التالي:

أصبحنا وأصبح الحمد للقائد، وأمسينا وأمسى الحمد للقائد، باسم القائد الأعظم العظيم المجد والمجيد وربما يتابعون أسماء الله الحسنة له، تبسم القائد للأرض فأنبتت من كل زوج بهيج، أشرق الربيع فرحا للقائد، والعصافير تزقزق طرباً للقائد، هبوا يا شباب الوطن إلى مسرات التأييد للقائد.

والطاغية قد حصر لنفسه أعلى المناصب بشتى المجالات فهو يعرف ويفقه بكل شيء فهو الطبيب الأول ، والفلاح الأول، والعامل الأول، القائد العام للقوات المسلحة، الأمين العام للحزب الحاكم والوحيد، الحربي الأول ، والمقاوم الأول، فهو يُضرب به المثل العالي في تفهمه في كل المجالات ،فهو كما يقال في العامية :" كالزبدية الصيني بل الروسي والإيراني من أينما طرقته يرن".

والطاغية قد ساد عليه الحمق والغباء في أبسط الأمور، فلو حكم قليلاً من عقله لملك حلاً لأصعب المشاكل ، ولجنب سورية الويلات والدمار ، لكن التفكير الاستبدادي لا يقبل أي نُصح ، سواء أكان من شعبه أو من غيره ، بل إن طاغيتنا لم يقبل النصح حتى من أبيه الطاغية الأكبر ، حين قال:" إرادتان لا تُقهران : إرادة الله، وإرداة الشعب" فذهب الطاغية ليتحدى الإرادتين معاً .

والطغاة يحتكرون كل شيء في بلادهم ترى شعوبهم قد عاشوا في الفقر والضعف والضياع ، رغم ضخامة ثروات بلادهم المنهوبة ، ويحرصون على إظهار القوة أمام شعوبهم بينما هم أمام أعدائهم أرانب قد اختبأت وخفتت أصواتهم.

والطغاة تمارس الكذب بشكل كبير و تتفنن في وسائل الخيانة والغدر، وتمثل أدنى درجات السقوط الأخلاقي في الشعارات التي تبناها لنفسها من قوميته وعروبته ،بينما هو الخائن الأكبر لقوميته ولعروبته ، ونجد طاغيتنا يتحدث لأول مرة عن إخوانه الطغاة واصفاً شعبه بالمتآمرين ويهدفون إلى تخريب البلاد ، ونسي نفسه أنه العدو اللدود للوطن وشعب الوطن وقد هدم البلاد بيده.

ما يميز طاغيتنا بأنه لم يعتبر بأربعة من الطغاة قد أسقطهم شعوبهم، ولاسيما من استعمل العنف، بل وسار على نفس العقلية وأشد جرماَ.

في نهاية المطاف لا سبيل للطغاة إلا من احترام حقوق شعوبهم ، لأنه مهما طال ظلم وبطش الطاغية لم يجد سوى مصير السقوط بقوة الشعب.

القوة ذات الحدّين

القوات المسلحة والقيادة العامة لأركان الجيش هي التي تملك السلاح ذي حدين، إما أن يكون السلاح صاد ومدافع عن أهل البلد وسلامة أرضه وبره وجوه ، ويكون الجيش الحصن الحصين للبلاد يكون يومئذ وطن .. شرف .. إخلاص، وإما أن يكون السلاح قاتل لأبناء شعبه ، وهدم بيوتهم وذل لشبابهم ويتيم أبناءهم، ويهتك أعراضهم فيكون حينئذ وطن .. قتل ..إذلال.

بينما هناك جنوداً تجعل من أجسادها جسداً واحداً لتمر شعوبهم من فوقها إلى بر الأمان... يجعل جيشنا من أجسادنا جسراً ليمر الطاغية على جماجم شعبه إلى كمال الطغيان.

بينما تقوم جيوش بالتضحية بنفسها وبأهرام قياداتها من أجل أن تحيا شعوبها، يضحي جيشنا بأفراد جنوده وشعبه لتحيا أهرام قياداته بينما هناك دول لا ترى ولا تسمع بجيوشها إلا بما يحقق أهداف هذه الدول، بينما نرى ونسمع بجيشنا في شوارعنا للتحقيق أهداف الطاغية وأهداف أعدائنا.

بينما هناك دول دستورها وجيشها وأمنها في خدمة شعبها ، فدولتنا دستورها وجيشها وأمنها في قتل شعبها .

بينما هناك دول تتكاتف مع شعوبها يداً بيد، يبدل جيشنا شعبه ب الأسد أو نحرق البلد.

بدايةً لا أقول كل مؤسستنا العسكرية كانت على حد سواء من الإجرام. لا.....

بل كان هناك رجال من الجيش العربي السوري الشرف والرجولة من شيمهم ، وإلا لما كان الجيش الحر، فهناك فيه رجال مما نُسق دورهم ، وفيه رجال مما كانوا يعملون في مهام سرية من مختلف فصائل الجيش ، إذاً ليس كامل جيشنا على حد واحد من الإجرام ، وكان فيه مما انشق عنه الذين رفضت رجولتهم أن يقتلوا شعبهم ، وبقي الإجرام والمجرمين في الجيش ، لم تُحرر البلاد العربية أو يعود عز الامة العربية وقوتها حتى تصلح جيوش الشوارع العربية، تلك الجيوش التي تركت مواقع الدفاع والثكنات العسكرية خالية أمام أعدائها، وتترك عدوها لتواجه عدو داخلي وهو شعبها الأعزل ، وأظهر أمامه قدراته القتالية في الانتشار في الشوارع ، وفي فض أكبر وأعظم الاعتصامات السلمية، وكيف يستطيع أن يُنفذ حظراً للتجول في أقل من خمس دقائق، بينما الأعداء يتربصون بالبلاد الدوائر، هذا هو حال جيشنا الذي صدع رؤوسنا ورؤوس الأمة العربية بمقاومته وممانعته، ودعمه للمقاومة والمقاومين، تعودنا أن نربط كلمة المقاومة بإسرائيل وكأن لا عدو غيرها ، وكأن بينهم وبين إسرائيل شيء خفي خارج نطاق العداوة ، فالعدو الإسرائيلي مضرب المثل في المقاومة ضده ، فهو محتل لجولاننا لعشرات السنين وهي جزء من الأراضي السورية " أرض مقاومة"، وهو محتل لقضيتنا وجارتنا فلسطين، وإذا سمعت شيئاً من المقاومة ، تسمع : نحن ليس بالضرورة أن نذهب ونقاتل، وإنما نحن ندعم من يقاتل هناك!!! ولا ندري ما هو الدعم؟

ولماذا كوّن جيش من مئات الآلاف من الجنود؟؟؟!!!!

عندما يُغتال رمز من الرموز الفكرية أو قيادية في البلاد فالعدو الإسرائيلي من قام بذلك، وعندما تخرج مظاهرة في البلاد ضد الظلم والفساد والاستبداد فالعدو الإسرائيلي أيضاً من قام بذلك.

وعندما يصلي الرجل فرض الصلاة في مسجد من المساجد فالعدو الإسرائيلي هو الذي شجع ذلك الرجل، وعندما يصيب السوري ضيق وهم ، وينحسر رزقه فالعدو الإسرائيلي

وراء ذلك السبب، وعندما يُذل المواطن السوري ويُقتل ويهدم بيته بمدفعية سورية وتُسوى طرقات شوارعه بدبابات سورية ، وتركع على الأرض طوابق الأبنية العالية بقصف طائرات سورية أين العدو الإسرائيلي من هذا السبب؟؟ وعندما تجد جنوداً سوريين يرقصون على جثث السوريين بمباركة إعلامهم السوري، أين العدو الإسرائيلي من وراء ذلك؟ عندما تقرأ في الشوارع الشعارات: شبيحة للأبد لأجل عيونك يا أسد، الأسد أو نحرق البلد، وفي السماء رب للعبادة وفي الأرض بشار للقيادة ، فأعلم أن العدو الإسرائيلي هو الذي كتبها في شوارعنا، عندما يبكي طفل سوري بحرقة على أبوين فقدهما ويقول: الله ينتقم منك يا بشار، العدو الإسرائيلي هو من لقنه ذلك.

ماذا أبقيتم للعدو الإسرائيلي بوجودكم، لأن إسرائيل تنفذ غارات جوية في كل مدة على بلادنا المصونة ، ونسمع بعدها سوف وسوف، وإسرائيل حلق طيرانها فوق القصر الجمهورية عدة مرات، وقصفت مقراً في مدينة دير الزور السورية، وهي أيضاً جالسة على جزء من أرضنا بخير وسلام، وربما في حرية أكثر من جلوسها في فلسطين، ليس هناك رد سوى أننا نحتفظ بحق الرد في الزمان والمكان المناسبين، ولم نرَ أي شيء إلى اليوم سوى تصريحات نارية تثير الضحك في الأسر اليهودية ، ثم وماذا أبقى جيشنا الباسل للصهاينة من إجرام إلا وفاقه به بكثير!

وماذا أبقى أبناء الشيطان من قاداتنا لليهود من خبث إلا وتغلبوا عليهم فيه .

نعود إلى القنيطرة والجولان جزء منها، لماذا إلى اليوم كافة السوريين لايعرفون من الجولان إلا اسمه بينما ندرس في مناهج التاريخ الاحتلال العثماني؟!

يخصصون في مناهج التاريخ ما يقارب نصف المنهاج عن ما يسمونه الاحتلال العثماني، والنصف الآخر عن الاحتلال الفرنسي، وإذا وجدت كلاماً عن الاحتلال الإسرائيلي وجدته

في فلسطين تحت مسمى القضية الفلسطينية ، أين القضية السورية الجولانية في مناهجنا؟ لماذا لم ندرس أي شيء عن الجولان في التاريخ؟

حتى وفي كتب الجغرافيا تأخذ التضاريس وهضاب الوطن العربي ثم تذكر أكثر وأكثر في تضاريس سورية، ولا يذكرون أن هناك هضبة تسمى الجولان بغض النظر إن كانت محتلة أو لا، المهم والجدير بالذكر فقط أن مركز محافظة القنيطرة حررها القائد الخالد الراحل ، وتركها على حالها من حجارة مهدمة لتبقى شاهداً على وحشية الاحتلال الإسرائيلي، ومن الطُرفة أن ضابطاً سورياً –على سبيل المزاح والضحك– قد تقدم به العمر وخرج على التقاعد ، كان قد شهد معارك القنيطرة ، إذ يقول مازحاً: تقابل جندي سوري وجندي إسرائيلي على الحدود في فترات الحراسة ، كان السوري بلا طعام ، فخرج الإسرائيلي ومعه عسل، فرآه السوري وصرخ السوري للإسرائيلي أنه يوجد لدينا أسد، وفي اليوم الثاني كان السوري بلا طعام أيضاً ، فأحضر الإسرائيلي لحم، فقال السوري مجدداً لدينا أسد، وفي اليوم الثالث أحضر الإسرائيلي أسد الحيوان، وقال للسوري أصبح لدي أسد، فقال السوري ضاحكاً: إذاً لا لحم ولا عسل بعد اليوم....

حرر القائد الخالد القنيطرة لكن لمن حررها ؟ وإذا كانت محافظة سورية وأنا مواطن سوري قمت بزيارتها وتحولت إلى التحقيق بسبب الزيارة ، ومن الأسئلة التي وجهت لي :أنت من درعا ماذا تريد من القنيطرة ؟ بينما إسرائيل العدو الأول لدولة المقاومة لها الحق أن تجلس على أجزائها لعشرات السنين، ولا يوجد من يسألها أنتم محتلون ما الذي أحضركم إلى أرضنا؟.

في الوقت الذي ننتظر فيه الرد في المكان والزمان المناسبين وحلمنا فيهما، ولم يتحقق حلمنا فيهن ، لأننا قد وجدنا الرد بشكل مباشر ودون أي تأخير ضد الشعب الأعزل ، الحمد لله أن عرفنا الزمان والمكان المناسبين للرد، فالزمان هو زمن انطلاق الثورة ، والمكان

كامل الأراضي السورية التي تتعالى فيها صيحات الحرية، منذ اللحظات الأولى ، ولا أقول منذ الأيام الأولى بل الساعات الأولى ، ولا تتجاوز أربع ساعات، وهي ما بين صلاة الجمعة حتى صلاة العصر، كانت الطائرات قد تحركت ، ونفذت إنزال جوي لعناصر من القوات الخاصة ، لينطلقوا إلى أعدائهم ويطلقوا الرصاص على المواطنين العزل، وراح بعدها يعيد تشكيلاته وينشر الحواجز العسكرية في أرجاء سوريا، وليقتحم المدن السورية وينفذ بها جرائم يندى لها جبين الإنسانية .

نحن لا ننكر أن جيشنا في المنطقة العربية هو جيش قوي ،وله وزنه في الساحة العربية، ويضيق على أعداء الأمة العربية وجود هكذا جيش حتى ولو كان في أمن وأمان من ذلك الجيش، لذلك كان ما يقارب ٨٠% من ميزانية الدولة موجهة للجيش السوري ليبقى حصيناً وقوياً ، حيث يؤخذ من راتب المواطن السوري دعماً للجيش، والسوريون راضون بذلك، ويرفعون رؤوسهم بأن يذهب مالهم للدفاع عن الوطن، لكن أصبحت تقول الناس بعدما رأت مكر هذا الجيش:" دفعنا دم قلوبنا لنبني جيشنا" ، وقال الشهيد العقيد أبو فرات قبل أن يستشهد وكان النصر لاح في معركته:" والله إننا لنحزن على كل جندي يُقتل، لأن هذا الجندي هو من أهلنا، ونحزن على كل دبابة ندمرها ، لأن هذه الدبابات هي دباباتنا، وهذا الجيش هو جيشنا"

فقد زُج جيشنا في معركة كاذبة خاطئة ضد شعبه ، فما كان من الشعب الأعزل إلا أن يتجه إلى السلاح أمام بطش النظام به، وهذا طبيعي في كل شرائع أهل الأرض، نحن لسنا في عداء مع جيشنا ولا ننفذ مؤامرة عليه، بل العكس تماماً نحن أبناء هذا الجيش، نحن من يصنع البطولات في الجيش ، فهو أساساً مكوناً من أبناء الشعب بشكل متكرر، إذ لا بد لكل فرد سوري أن يخدم فيه خدمة إلزامية ، فهو مكون من إخوتنا ، وأبناء عمنا ، وأهلنا، وبلدنا، ونطمح به أن يكون أقوى جيوش العالم، لكن ماذا نفعل إذا كان هناك مشروعاً

شيطانياً دولياً بإضعاف جيوشنا العربية ، والطاغية ساعدهم على ذلك بطبق من ذهب، فنحن نبكي دماً بدل الدمع عندما نرى جيش دولة من الدول يدافع عن دولته لتكون دولته قوية ضد أعدائها، بينما جيشنا يقتل أبناءه لتبقى بلدنا ضعيفة لصالح أعدائنا، لقد سار شعبنا في بداية الثورة مثلما قال إخوانهم في الثورات التي سبقتهم " الجيش والشعب يد واحدة " تخرج مظاهرات سلمية أمام الجيش ثم يهتفون ذلك الهتاف أمام الجيش، ليفتح عليهم الرصاص الكثيف ليسقط منهم عشرات الشهداء أمام أعين إخوانهم .

تدخل الجيش لصالح شخص واحد بدلاً من شعبهم، ونحن لا نقول ماذا لو وقف الجيش بجانب الشعب، بل نقول ماذا لو وقف الجيش على الحياد أمام ثورة الشعب، هم يقولون لن نسمح بأمن البلاد أن يتزعزع أمام الإرهابيين ،ونحن معهم فلينزعوا رأس الإرهاب بشار، لينزعوا بقية الإرهاب ممن يزعمون، لكن زُج الأخ ليقتل أخاه ، ويقتل ابن البلد في سوريا جاره في المحافظة الأخرى، فما كان من الجيش إلا أن ينجر منصاعاً لهذه المهمة لأن السلطة الأمنية هي أعلى من سلطته ، هيمنت السلطة الامنية على الجيش وأنزلوه إلى الشوارع ، وكانت كفيلة بأجهزتها الأمنية أن تُحقق هذه المهمة ، ولاسما جهاز الأمن العسكري الذي كان ينفذ إعدامات بأي عسكري مجند كان أم ضابط فكر في الانشقاق ، يعدم المنشق أمام مرأى أصدقائه من الجنود حتى يثيرون في أنفسهم خوف ورهبة بمجرد التفكير في الانشقاق، ولا ننسى أن صناعة القرار في الجيش هو بيد كبار ضباطه الذين هم من طائفة الرئيس الذين باعوا الوطن وأعلنوا ولاءهم لرئيسهم، ومارسوا قمعهم وحقدهم بطائفيتهم، وعمدوا أيضاً إلى إحداث تشكيل في الجيش كأمثال هؤلاء الطائفيين في كل الكتائب والتشكيلات والفِرق لتبقى عيون النظام طائلة إلى كافة التشكيلات العسكرية ، وهذا ما منع انشقاق كبير في الجيش أو إطاحة برأس النظام من قبل الجيش أيضاً، قد يفكر لواء في الانشقاق وأصغر مجند في ثكنته قبل قليل كان يحترم سيده ويضرب له التحية ويهابه ، لكنه حين انشق اللواء

سيضرب عليه الرصاص ويرديه قتيلا دون أي احترام أو مهابة ، بل ويخرج المجند هو الجندي الشريف واللواء الخائن الأكبر.

بالإضافة إلى الهيمنة الأمنية على التشكيلات العسكرية ووجود الضباط الطائفيين الذين أعمتهم الطائفية البغيضة ،مما كانوا سبباً لإجرام الجيش وعدم الانشقاق عنه.

فهناك معضلة أخرى هي المجند بحد ذاته.

السن الذي يلتحق به المجند بالجيش أو ما يعرف بالخدمة الإلزامية لغير الجامعيين هو سن الثامن عشر والغالبية العظمى من هذا السن، وهنا يكون المجند مفرغ تماماً من أي تعليم تعلمه في مدرسته لأنه أساساً قد ترك مقاعد المدرسة، وهو أيضاً ضعيف في التربية الدينية والاجتماعية والأخلاقية إلا من رحم ربي، فيذهب المجند إلى الجيش فيعلمونه عقائدية الجيش السوري.

وهناك أقسام من المجندين هي فقيرة رأت في الالتحاق بالجيش مرتعاً لها، وخاصة في الاحتفاظ بعد انقضاء المدة الإلزامية إذ يزداد الراتب الشهري للمجند، بالإضافة إلى ما كان يسرقه في البيوت من خلال الاقتحامات ، لأن المال عنده أهم من الشرف والوطن والإخلاص ، بل وأجزم أن المال عنده أعظم من رئيسه الذي يدافع عنه.

ولا ننسى أيضاً حالة التقديس لرئيسهم التي يضع الضابط جنوده فيها، وكأنه الإله ويسمونه بالقائد المفدى ، أي أنهم يفتدونه بأروحهم ودمائهم تجاه أي مكروه له وليس للوطن، ففي الرياضة الصباحية لدى الجيش مع كل حركة ينفذونها يهتفون بأعلى صوتهم بشار، و ثم يهتفون بالحركة الأخرى أسد وهكذا، بل وسمعت ضابطاً يقول بخصوص الثورة حيت تعالت الأصوات التي تطالب بإسقاط الرئيس ، يقول:" الرئيس بشار مارح يسقط،

لأنه الجيش حامي الوطن ومارح يسمح بالخراب للبلاد" والوطن عندهم هو بشار ومن غيره الخراب.

وهناك أمر مشترك في الجيش السوري بين المجندين والضباط في كافة التشكيلات العسكرية وهو ضعف الوعي والرادع الديني، بما نسميه في لهجتنا العامية (قلة الدين)، فالصلوات الخمس هي ممنوعة في الجيش العربي السوري ، وذكر بشار هو الورد الصباحي والمسائي، فالمجند ذو الثمانية عشر هو في أول وعيه بالحياة، يعلمونه الولاء للأسد ونظامه، أما بعض الضباط غير العلويين هم أشد إجراماً من العلويين، فنحن لا ننفي أن هناك مجندون وضباط موجودون في الجيش إلى اليوم ولم ينشقوا عنه علماً أنهم ينتمون إلى محافظات ومدن قد دُمرت عن بكرة أبيها هناك في الجيش إلى اليوم جنود من درعا ، وحمص، ودير الزور، وحلب ، وإدلب ،وحماة ، وريف دمشق .....وكافة المحافظات الأخرى .

وهؤلاء وجودهم في جيش الإجرام لا يساوي شيئاً ممن انشقوا عنه من أبناء محافظاتهم أيضاً ، وليس غريباً رؤية مثل هؤلاء المجرمين من محافظات حرة ومازالوا ينتمون إلى الجيش، لكل بلد شواذ وهؤلاء هم شواذ بلداتهم لأنهم تربوا على عقيدة أسدية خلال فترة خدمتهم الإلزامية ، نعم من العجب رؤية مثل هؤلاء المجرمين ، ومثل هذا الجيش المجرم، فلو أحضرت في كل جيش من جيوش العالم ضابطاً وأخذت ضباطاً من جيشنا لعرفتهم بسيماهم ،سيماهم في وجوهم من الإجرام ، لأن الضابط الذي لديه خدمة عشر سنوات وما فوق أو المجند الذي لدية خدمة سنة ....طوال هذه الخدمة الصلوات الخمس ممنوعة ، والصيام صعب ومستحيل، والخمر والمخدرات من المباحات، وشتم الذات الإلهية من أبسط الكلاميات لديهم ، والسلب وإذلال الناس المدنيين، تلك هي عقيدتهم التي يُسمون بها الجيش العقائدي.

لذلك أي شخص عاش وترعرع على مثل ذلك الفكر يكون الانشقاق عليه صعباً، إلا من حركه عاطفته وشرفه ودينه ونخوته وإنسانيته فرفض الإجرام وانشق عنه.

لابد لنا وأن نشكر كل مجند وضابط انشق عن الجيش والتحق في ركب الثورة ، وواجب علينا أن نترحم على من سقط شهيداً منهم.

لقد كانت الانشقاقات هي من أهم العوامل التي أدت إلى إضعاف جيشنا الذي لو خاض معارك خارجية أخرى لكان إضعافه سيتطلب معارك ضارية ، لكن زجوه في معركة ضد شعبه وأعطوه الضوء الأخضر في أن يقتل ويبطش ليحرك ضمير من كان حياً من رفاقه في السلاح ليجعل في ذلك شرخاً في قواته.

أما السبب انحطاط الجيش فكان هو السبب الأخلاقي بوقوفه مع جلاده ضد أبناء شعبه ، وإعلانه الحرب ضدهم واستخدامه بكل ما يملك من أسلحة على مدن وبلدات سوريا .

قرأت ذات يوم ممن يمدح الجيش العربي السوري المقاوم بأنه يمتلك صواريخ قادرة أن تضرب إسرائيل في قعر دارها، ويصل مدى هذه الصواريخ ٧٠٠كم بما تسمى صواريخ سكود.

لكن هذه الصواريخ وصلت إلى الأراضي السورية قبل أن تصل إلى الأراضي الإسرائيلية، وضقنا ذرعاً من أعداد القتلى التي تخلفها هذه الصواريخ في محافظات حلب وإدلب ودير الزور والرقة ....وغيرها من مناطق سورية.

أما السبب الآخر الذي أدى إلى ضعفه هو نشر الحواجز في كافة أحياء ومدن سورية ، إذ راح يفرغ الثكنات العسكرية لينشرها في المدن ، ولا يبقى في الثكنات غير القليل .

يحدثني أحدهم ممن انشق عن الجيش أن ثكنتهم كانت تحوي لأكثر من ١٥٠٠مجند وسُحب منها لكي يضعوهم في الحواجز ، وانشق منها من انشق حتى تركها في النصف الأول للثورة ٥٠٠مجند.

انتشرت الحواجز في المدن في بداية الأم، واحتكت في الأهالي منهم من أدرك وتفهم أحوال الشعب ، وما يرنو إليه من ثورة عادلة تسعى إلى القضاء على الظلم والاستبداد فانشق عن جيشه ، ومنهم من ظلم وقتل وبقي في حاجزه حتى (شُق) أي قُتل في نهاية المطاف في حاجزه ، وفي كلتا الحالتين هم لم يعودوا إلى ثكناتهم إما الانشقاق أو القتل باستثناء القلة القليلة التي سُحبت من حاجزها.

أما السبب القاسم الذي أدى إلى إنهاء قوة الجيش هو حمل شعبهم وأبناء جلدتهم السلاح لمواجهة ظلمه وطغيانه ، والذي دفع الشعب إلى حمل السلاح هي الممارسات البشعة بحقهم ، وكانت من تلك الممارسات الحواجز المنتشرة في المحافظات وفي داخل الأحياء السكنية ، حيث يمارس كل حاجز نوعاً من السرقة الإفرادية كأن تدفع لي مبلغاً من المال وأسمح لك بالمرور في الطريق ، وأحياناً يقومون بسرقة المركبات مقابل المال.

أما الحواجز المنتشرة داخل المدن فهي المعضلة الكبرى التي أدت إلى خراب المدن ، حيث تتمركز الحواجز في أبنية عالية وتكشف من خلالها كافة الطرق وتضع على هذه الطرق قناصة مجرمين، لتفرض حظراً للتجول متى تشاء ، وتقتل وتقنص من تشاء، وتقوم بشن حملة من التفتيش جنباً إلى جنب مع القوات الأمنية ، بهدف السرقة وإذلال المدنيين .

وهذه قصة ما حدث مع إحدى الحواجز الجيش في المدن:

كان هناك طفل يبلغ من العمر تسع سنوات يسكن إلى جانب حاجز للجيش في بدايات تمركز الجيش في المدن ، إذ كان يحتك بالناس ، والناس تحتك به لتوعيته، وذات يوم

سقطت كرة طفل عند الحاجز فأعطوا الكرة للطفل، تكرر ذهاب الطفل وإيابه إلى ذلك الحاجز إلى أن عرفه كل من في الحاجز مع ضابطهم، حتى إذا ما نقصهم أي غرض يريدونه نادوا للطفل صلاح أن يشتري لهم أغراضهم ، فقد حفظوا اسمه وعرفوا بيته القريب منهم ،وذات يوم اشترى لهم شيئاً من الطعام ليأكلوه وقت الغداء ، فأوصل الطعام إليهم وفي طريقه إلى بيته كان هناك مظاهرة قد خرجت بشكل سريع وانفضت بشكل سريع أيضاً خوفاً من الحاجز ، فسارع الطفل إلى الركوض إلى البيت ، فقنصه قناص الحاجز نفسه في رأسه،وهو ربما يمضغ الطعام الذي اشتراه له قبل قليل ، ليرديه قتيلاً على الأرض وقد فجر له الدماغ جزاء المعروف الذي أسداه له الطفل ، مات الطفل وماتت الإنسانية في قلوب الجيش ، خرج والد الطفل ووضع دماغ ابنه في كيس صغير وذهب باكياً إلى ضابط الحاجز وقال له :

هذا الدماغ الذي كان يرشد الطفل إلى خدمتكم قد فجرتموه، ليرد عليه الضابط : " انقلع ....أحسن ما فجّر دماغك مع ابنك".

وهذا غيض من فيض من قصص إجرامهم في البلاد.

فكانت هذه الحواجز وممارساتهم ظلم على ظلم ، ضيم على ضيم دفعت السوريين إلى حمل السلاح ليحققوا حريتهم ، واستكمالاً لطريق الحرية الذي بدؤوه بسلمية وهتافات الحرية .

يقول صديق لي لأحد ضباط الجيش كان يتحدث معه:

" نحن في بلدتنا الصغيرة تعدادها خمسة آلاف نسمة ، قد خرج منها إلى الزعتري، و مخيمات اللجوء أكثر من النصف وبقي فيها ما يقارب ألفان نسمة ، وإذا استثنيت النساء

والأطفال وكبار السن ستجد أقل من خمسمئة رجل من الشباب، فلماذا استقدمتم سبعة آلاف مجند لاقتحام قرية صغيرة مثلها؟؟؟!!!....."

وأخيراً ما كتبت هذه الصفحات كرهاً من جيشنا، ولا امتنعت من كتابتها خوفاً من بطشه، لكن هول إجرامه هي التي دفعتني أن أكتب مثل هذه الصفحات، أكتب هذه الصفات وتتخلل أوقات كتابتي لها قذائف وصواريخ يطلقها الجيش هنا و هناك.

شدة إجرام الجيش هي من جعلت الطفل الصغير يحفظ كافة أنواع الأسلحة قبل أن يحفظ اسمه .

"حتى يغيروا ما بأنفسهم"

ﷺ " إنّ الله لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم ".

لربما أصبحت هذه الآية بحاجة إلى تطبيقها أكثر واقعيةً، ونجعلها قاعدة تنطلق بها إلى كافة المجالات ، ونجعلها دستوراً لحياتنا اليومية بدءاً من الإنسان العادي حتى الطاغية المتعالي.

إن العروش التي بنيت وأقامت صروحها على النار والحديد، وشيدت أعمدتها بالظلم وقهر الرجال ، لن تدوم طويلاً ،لأنها سيرفضها شعبها عاجلاً أم آجلاً ، وسيقتلعها من جذورها ليرمي بها إلى مخلفات التاريخ، لا ننسى أن حالة الطغيان تبدأ من رفض أي صوت معارض وتنتهي بالطاغية في أن يبطش ويظلم ويعيث في الأرض فساداً.

مادام مصير كل طاغية بات معلوماً في الأرض، وما دام أصبح معلوماً ماذا يحل للطغاة ولبلادهم إذا استكبروا في الأرض ، فلماذا لا يفكر الطغاة في تغيير ما في نفوسهم حتى تتغير بلادهم إلى الأفضل؟؟!!!!.

كنا نسأل ونستفسر لماذا دولنا العربية ضعيفة أما الدول الكبرى قوية ؟

بينما تعمل الحكومات الغربية ساهرة لكي ينام شعبها ، يعمل مواطنوننا ساهرين لكي تنام حكوماتهم .

من أجمل ما قرأت بأن الله ينصر الدولة العادلة حتى وإن كانت كافرة ، ولا ينصر الدولة الظالمة حتى وإن كانت مؤمنة .

ماذا لو تخلت حكومتنا عن سياستها وتعاملها؟، وماذا لو غيّر طاغيتنا استبداده الذي ورثه عن أبيه ؟

لينقل البلاد إلى بر العدل الأمان بدلاً من الطغيان، في حين راح يتغنى بالقومية ، ومصلحة الأمة السورية ، والأمة العربية حتى لعن الأمتين في انطلاق الثورة .

حكم الطاغية البلاد بالحديد والنار، وضغط على صدور أبناء شعبه حتى كادوا يموتون غيضاً، وعُومل الشعب وكأنهم عبيد مأمورين موجهين ومسيرين.

دعونا نتوقف عند قصة قصيرة من تاريخ العدل :

أتى رجل إلى عمر بن الخطاب يشتكي ويقول : أنا مظلوم ياأمير المؤمنين.

فقال له الفاروق : وماهي مظلمتك؟

فقال: تسابقت مع محمد بن عمرو بن العاص والي مصر ، فسبقته بفرسي ، فنزل علي وضربني ،وقال لي أمام الناس :"أتسبقني وأنا ابن الأكرمين!".

فاستدعى عمر محمد بن العاص وأباه ، وضرب محمداً وقال لعمرو بن العاص قولته الشهيرة " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً".

وهذه بعض الصور أقدمها في مجتمعنا المصغر لنقارن أنحن عبيد أم أحراراً.

- عندما يوقفك شرطي المرور و يهين الكبير قبل الصغير في البلاد .
- وعندما تقع في مظلمة لا تستطيع أن تحقق منها سوى نظرات حاسرة ، وعندما تحرم من وظيفة حكومية أو أي مسابقة لتذهب هذه الوظيفة أو المسابقة لأحد الأشخاص الذين ربما لا تستطيع أن تتفوه باسمه إلا بطأطأة الرأس ، عندما تخالف مركبتك(سيارتك)

تشدد في حقك أشد العقوبات وهذا حق، ولكن عندما تخالف مركبات أخرى بسرعة جنونية والمخالفات توافق المركبة بأكملها ولا أحد يستطيع أن يخالفها لأن راكبها من أبناء السادة ،

- عندما يُعلن عن بعثة دراسية خارج الوطن وتكون أنت المؤهل لهذه البعثة بجميع شروطها، ومع ذلك لم ولن تنجح لأن هناك من هو مؤهل أكثر منك نفوذاً لا علماً يستحق هذه البعثة، عندما تذهب لإجراء إحدى الأوراق في دائرة من الدوائر تبقى هذه الورقة لأشهر وربما تنام نومة أهل الكهف إذا لم تدفع الرشاوي، عندما لا يجد صاحب رزق متواضع إلا دكان صغير يفتحها تسد رمقه ورمق عائلته ، لتأتي الكلاب وتنهش من لحمه بدفع ضرائب شهرية وربما كانت يومية لا أحد يقدرها أو ينظمها لأنها ضريبة فردية لموظف التموين و المالية والبلدية ، عندما يُستدعى خطيب الجامع في كل جمعة ليتقيد في خطبته بالموضوع المطروح له ، والويل والثبور إن تزحزح خارج موضوع الخطبة المقررة له .

وعندما..... وعندما.....وعندما ..... الكثير من تلك الأمور التي لو ذكرتها لاحتجت مئات الأوراق لها، لكن الجدير بالذكر من النماذج السابقة أن بعض من الصور السابقة هي تتعلق بأناس هم إخواننا وأبناؤنا ، إلا أن حياتهم الاستبدادية القائمة على الفساد والتي عاشوا فيها وترعوا فيها حتى تشربت في نفسياتهم ، واندمجت في معاملاتهم ، ولأن كل موظف مهما كان عمله يرى ويتعلم ممن هو مؤول عنه ويمارس الفساد أمامه و ربما طُبقت هناك بعض الرقابة لكن الرقابة الذاتية لم تكن موجودة ، والتغيير إلى الصدق والإخلاص بالعمل لم يكن موجود، لذلك عاشت دولة الأب والابن أربعين سنة دون أن يهز عرشها أي شيء، بل وزادت من قوتها واستبدادها وطغيانها ، ولا أقول أن كل من عاش وعمل في ظل دولة الأسد هو فاسد، بل أن هناك أشخاص شرفاء ومخلصين لأعمالهم التي هم فيها ، لكن كما هو حال الدنيا يوجد فيها الصنفين.

وفيما بعد عندما أعلنت النفوس أنها تغيرت وثارت على الظلم والطغيان ، كان انخراط بعض الناس فيها كما كانوا قبل الثورة دونما أن يغيروا في نفوسهم شيء.

الطغيان والفساد لن يدوم مهما كانت عرشة مجذر في الأرض ، وإنما له عمر وفترة تطول أو تقصر، فما حدث في سوريا لم يكن عصا سحرية أثارت الناس على ظالمها ، ولم تكن مؤامرة كونية كما أدعى النظام، إنماذلك عندما أعلن التغيير بأنه قادم، فقام كل فرد في سوريا ، وليس كل محافظة بل كل فرد فيها قام بتغيير ما بنفسه من خنوع وسكوت على الذل والظلم ، منهم من غيرته كرامة أبنائه وأهله ، منهم من غيره ما أُهين من الشرف أو الأعراض التي أُنتهكت، أو الدماء التي سالت في الشوارع ، فكان إلى أن دفعت الفرد أن يغير ما في نفسه مهما كان دينه لأنه لا يوجد دين سمح على وجه الأرض أن تبقى صامتاً أمام جلادك وجلاد إخوتك .

قام الشعب بعزيمة وإصرار وإرادة على إسقاط الظلم ، مهما كان الثمن غالياً فالنتيجة حتماً ستكون أغلى.

يقول المتنبي:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

ودافع التغيير في نفوس السوريين ، كان من حرمان ذاقوا مرارته ، لأن الشعب السوري عاش الحرمان لعشرات السنين لكنه صبر عليها مقابل ألا تُهدم بلاده، لأن المصير معروف منذ القدم في حكم الأسد عندما تطالب بحق وتصر على حقك، فعلى البلاد والإنسان السلام حينئذٍ، صبر الشعب عن هذه الأمور مقابل أن تبقى الأوطان وإن كانت هشة لكنها تنعم في أمان واطمئنان ، لكن أن تداس الكرامة ويُنتهك العرض على أرض سوريا، وتُدنس

المساجد، وتُحارب الأديان ، ويقتل الإنسان ويسيل دمه في الشوارع ،من يفعل ذلك مجرم بكل الشرائع السماوية والقوانين الأرضية ، فيكف بأدي سورية تزعم الإخوة والمقاومة ، لا فرق بين من قام في كل تلك الانتهاكات وبين محتل قدم من خارج البلاد.

لن يصبر الشعب ولن يسكت على ضيم ،سيقتلع طاغية البلاد حتى ولو كان على حساب خراب البلد، لأن البلاد مهما تهدمت تُعمّر بزنود أبنائها ، لكن الشرف والعرض إذا انتهك من سينساها إلا بعقوبة مرتكبها.

وأنا أضع وجهة نظري بهذا الصدد، واستحق عليها النقد تبقى وجهة نظر ،ألا وهي الوطنية مثلما القومية مقابل الإنسان.

أرى أن الإنسان هو مصدر القوميات وهو مصدر الأوطان، وإذا ذهب الإنسان ماذا بقي من الوطن إلا اسمه .

أليس إذا فني الإنسان فنيت الأوطان؟؟؟

كم من الأوطان فنيت ومات ذكرها عندما مات أهلها، وكم من الأوطان ارتفع ذكرها وأصبحت من أعظم الدول عندما اكتشفها الإنسان ، لذلك نعم يضحي الإنسان بنفسه ليس من أجل تراب وطنه .كلنا نسمع تلك الشعارات الرنانة وعندما يحل في البلد مكره يكون أول الهاربين، ولا يضحي الإنسان بنفسه لأنه يحمل جنسية هذا البلد فقط ، أو لأنه وطني ويتوجب علي التضحية للوطن.

وإنما يضحي الإنسان بنفسه من أجل غاية شريفة تحيا بها الأوطان، ويضحي الإنسان بنفسه من أجل شرف وكرامة وعرض وطنه ،ليس من أجل حجارة وتراب منشورات على أرض الوطن، ولا أنكر حب الوطن بما فيه عن غيره من الأوطان ، لكن التضحية في سبيلة يجب أن تكون لغاية سامية .

وهذا ما حدث في أوطاننا اختل أكبر أركان هذا الوطن ، نحن من الطبيعي أن نضحي بالأرض والبيوت التي بناها أهلها بكد وجهد كبير، مقابل أن يصان أركان الوطن ، كل شيء يهون ،ويُعمر ويُصلّحمادامت القلوب خالية من الأحقاد وتظفر بالحب لبعضها.

القسم الثانى

þ ù

ثورة الكرامة

في ١٨/٣/٢٠١١م

þ û

في مطلع ٢٠١١م خط خطوطها بيده ليرسمها أحسن رسمة وهي حدود سوريا ، لا بل تجاوز تلك الحدود ليتلفظ بها كلمة سين واو راء ياء (سوري) ، حيث أينما ولى لحق به الموت، بل وتجاوز الموت وأقسام الموت من (قهر، وذل....) ليلحق بالسوري خارج حدود دولته ، منهم من مات غرقاً، ومنهم احتراقاً في المخيمات ، ومنهم سُماً بسوء التغذية أو مياه ملوثة ، أقسى الحوادث كُتبت على السوري في بلده وخارج حدود بلده .

لكن ما الذي حدث في سوريا؟ ولماذا استمرت وتعاظمت مأساتها وبلغ السيل الزبى إلى هذا الحد؟

دعونا نعيش ترتيب هذه الأحداث المؤلمة من بدايتها إلى ما وصلت إليه ، ذكرت سابقاً في جمهورية الصمت ومملكة الخوف الأحوال التي كنا نعيشها في سوريا من خوف ورعب من السلطة الحاكمة ، وما كان مآل الإنسان إذا تجاوز الحد الذي يمس الحكومة وإن كان الأمر بسيطاً .

نتوقف فترة قصيرة قبل انطلاق ثورة الكرامة في الثامن عشر من أذار، حيث بلغت المضايقات الحكومية على الشعب ما لم يستطع أحد أن يعيشه أو أن يغض الطرف عنه ، منها الضرائب التي زادت حملاً على المواطن التي لم يستطع أن يتحملها كضرائب الماء والكهرباء المتزايدة، وضرائب البلديات ، وضريبة الرفاهية على المركبات، لتصل في آخر المطاف إلى ضريبة للطاقة الشمسية ، أي أنك إذا قمت بتركيب الطاقة الشمسية التي تعتمد على حرارة الشمس في تسخين الماء ،عليك ان تفع ضريبة أما عندما تركبها أو عندما تقوم بإعمار السطح الذي سوف تركب عليه هذه الطاقة .

قام أحد الناس وكان ذو دخل متوسط بعدما أدخر مبلغاً من المال حتى يرفع سطحاً فوق سطحه تفاجأ من البلدية أنها قد وضعت عليه ضريبة للطاقة الشمسية ، فقال لهم : امضيت

سنوات حتى جمعت هذا المبلغ لسطح بيتي أي اني لا أفكر بغيره ،ومنها الطاقة الشمسية ، ثم لو افترضنا أنني سأركب الطاقة الشمسية، وهل من الحكومة ؟ أم أنها تخصص من ميزانيتها للشمس حتى تعطينا أشعتها؟!

فكان الرد : " ما زلت فوق سورية فأنت تحت سماء سورية وشمس سورية ، ابحث عن أرض غيرها وخذ أرضها وسماءها وشمسها" ، نبقى قليلاً في مجال إعمار سطح البيت ، والسطح بحد ذاته يحتاج إلى رخصة لإعماره ، وهذه الرخصة تتطلب موافقة فروع الأمن السياسي والعسكري والجوي ومن ثم امن الدولة ، أي أن عليك أن تمضي في رخصتك من قبل سنة من الإعمار لتمتد سنتين أو أكثر ، وفي كل مدة شهر أو شهرين يطرق بيتك عنصر من المخابرات ليجري عليك مسحاً كاملاً حتة تحصل على الرخصة في النهاية .

لكن ماهي عقوبة من قام بإعمار بيته من دون رخصة أمنية ؟؟؟

لا تأتي إلى الشخص البلدية لتعطيه تحذيرات على ذلك في بداية عمله ، ولا يدفع صاحب العمل غرامة مالية أو يُحبس الشخص مدة معينة جراء مخالفته للقانون، لا تُفعل أي من تلك الأمور ، تدع المواطن يعمل ويتكلف بالتحضيرات وعندما يرفع سطحاً ويدعه لبضع أيام ، ويكون المواطن قد تكلف ووضع ما كان جمعه من أموال على عمله ليتفاجأ في يوم بدوريات مشتركة من الافرع السابقة ذكرها واصطحبت معها أدوات الهدم ، فيأتون إلى هذا السطح ويهدمونه ويجعلونه رماداً ثم يتركون صاحبه يبكي عليه ، ومازلت أستحضر في ذهني صورة مجيء القوات الأمنية مع أدوات الهدم ، وقارنته بصورة اليهود التي كنا نراها على شاشات التلفزة حين كانوا يهدمون بيوتاً للفلسطينيين ،الهدم واحد لكن الفرق أن اليهود يهدمون بيوت أعدائهم بنظرهم، وهنا يهدمون بيوتهم بأيديهم ، هناك تجد كلمات عبرية على أدوات الهدم ، هنا تجد كلمات عربية عليها وتحت العلم السوري ، استمرت تلك الانتهاكات ، بل زادت الضرائب وازدادت تلك الممارسات والانتهاكات ، ولا أحد يستطيع

أن ينكر شيء سوى أن يغض طرفه ،لكن ازداد الاحتقان الداخلي لدى شعب سوريا ، وبقي الاحتقان في النفوس وفي انتظار أي انفجار لما في هذه النفوس،

استمرت الأمور على ماهي عليه في سوريا عامة ، أما في إحدى محافظاتها درعا ،فقد ذهب محافظها –الذي يعد سبباً رئيساً في أحداث سوريا– إلى فرض بعض القرارات تكون هذه القوانين خاصة في المحافظة دون غيرها، ومن بعض هذه القرارات ،أطلق قراراً يقتضي على كل مدرسة في المدراس الحكومية إن كانت محجبة تُنقل من مجالها الدراسي إلى دوائر الحكومية الأخرى، وأي دوائر؟؟؟

اقتصرت تلك الدوائر ما بين مديرية النقل والعدل و هنا وضعت كل مدرسة أمام خيار صعب، أما ان تخلع حجابها وتبقى في مدرستها ولا تُنقل منها وتبقى ممارسة مهنتها التدريسية ، وأما أن ترضخ لهذا القرار فتُنقل لتلك الدوائر غير مبالين بطول السنوات التي علمتها للأجيال ، كما واضطرت بعضهن إلى ترك الوظيفة كلها ، أي تنازل عن دورها التدريسي ،وعن وظيفتها الجديدة لتدع بذلك راتباً شهرياً خصصته لها ولزوجها ولأولادها في أوقات كثُرت فيه الضرائب والمضايقات على الموظفين، لكن الأسرة التي اتخذت القرار بالتخلي عن الوظيفة كلها ، هل سلمت ؟؟؟ لا.....

فعلى زوجها أو ابنها مراجعة أفرع الأمن المختلفة عدة مرات، أو تذهب المدرسة بنفسها إلى هذه الأفرع، لتبين السبب بشكل كامل الذي دفعها أن تترك الوظيفة، بقي هذا الظلم محتقناً في النفوس.

وهناك ظلم آخر قد لحق بالعائلات السورية من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها ،حيث لا تكاد تجد حياً في البلاد إلا وقد وجدت فيه قصة من هذا الظلم ألا وهو الاعتقال التعسفي، حيث كانت قوات الأمن تشن في كل فترة حملة اعتقالات ، تارة باسم السياسة ،

وتارة باسم التشدد الديني والحُجج والذرائع على ذلك كثيرة ، وذريعة التشدد الديني يعاني منها الشعب السوري منذ القدم في عهد الأسد الأب، لكنها في عهد الابن ازدادت كثيراً، وازدادت ملاحقة الناس في دينهم ، والتشدد في دولة الأسد ليس كمن نسمع بالسلفيين أو الجهاديين أو الوهابيين أو غيرهم كما نسمع من مسميات ،وإنما المتشدد الديني في دولة الأسد هو من حافظ على صلواته الخمس ومن ذهب إلى الجامع وإن كان فرضاً في اليوم ،فالعين عليه كما يقال عندنا في سوريا، أي أن الاسم سوف ينزل عند أفرع الأمن وتنتظر التحقيق ومعرفة الافرع الذي سيستدعيك، لذلك لا نستغرب وصية الأب لابنه بعدم الذهاب إلى الجامع ، لا لأنهم يكرهون ذلك، وإنما يخافون على أبنائهم من الاعتقال ، لقد خرج حافظ الأسد في آخر حياته بقرار يمنع فيه الحجاب للطالبات الثانوية في المدارس ، لكن هذا الأمر لم يدم لأن عواقبه وخيمة ، أما بشار فقد انتهج منهج أبيه فيما يتعلق بنفس الأمر أو غيره ، حيث كنا نسمع أن تفجيراً قد حصل في دمشق أو في أي مكان في سوريا ، أما على الإعلام فالعدو الإسرائيلي من نفذ هذا التفجير، أما على أرض سوريا فحملة اعتقالات تطال الشباب السوري .

أتساءل إن كان الاتهام موجهة إلى الاحتلال الإسرائيلي وراء أي تفجير في سوريا فلماذا يعتقلون أبناء سوريا ؟؟!!!!!!

شن النظام في عام ٢٠٠٥ حملة اعتقالات كبيرة شملت سوريا بأكملها ، حيث يكون الرجل في بيته نائماً ليستيقظ في وسط الليل بعناصر الأمن قد أحاطوا بيته وخلعوا باب بيته دون أي سابق إنذار ، يضعون القيود والسلاسل في يديه بعدما انتهكوا حرمة البيت الذي اقتحموه ، ليغيب بذلك السجين عدة سنوات ويخرج بعدها إن كُتب له البقاء في هذه الحياة، نُفذ ذلك في أكثر مناطق سوريا ولا أحد يدري مالتهمة حتى المعتقل نفسه لا يعلم مالتهمة وكل ما يعرفه أنهم اقتحموا بيته في وسط الليل وأخذوه .

ومما ذكرت قصة من قصص ذلك الاعتقال حدثت في حيينا ، سمعنا في ليلة صوت غريب في الحي في منتصف الليل حركة سيارات كثيفة ، وعناصر كثيرون ومدججون بالسلاح هم غيرهم عناصر الشرطة الذين تعودنا ان نراهم في ملاحقة المسيئين في الوطن، ولا نعلم أن جارنا من المسيء للوطن ، خرجنا في الصباح وإذا بجارنا في الحي يتكلمون أن عناصر مخابرات حضرت من دمشق وأخذته ، استمر سجن ذلك الرجل ما يقارب ست سنوات، في أول فترة سجنه لا أحد يعرف أين هو ، وماهو مصيره إن كان على قيد الحياة أم لا، استمر سجنه ومن معه على تلك الحالة ما يقارب ثلاث سنوات لا أحد يعلم عنهم أي شيء سوى أنهم في معتقل صيدنايا، أو معتقل تدمر ولا أحد يستطيع أن يسأل عنهم إلى أن قامت مجزرة صيدنايا في ٢٠٠٨م ، واستشهد عدد من السجناء فأصاب الأهالي الذعر والخوف على سجنائهم ، ذهب كل من له سجين وشكلوا اعتصاماً أمام السجن وطالبوا ان يروا سجنائهم أو يعلموا عنهم أي خبر موثوق إن كانوا من الاحياء أو الأموات ، وكعادة الدولة في الرد تشبعهم ضرباً واعتقالاً، لكن مشكلة مجزرة صيدنايا بالنسبة، ومشكلة فض الاعتصام جعلت النظام يسمح للأهالي بزيارة سجنائهم ، كان من بين السجناء جارنا الذي طُلقت امرأته لطول المدة التي قضاها في السجن، لأنه الجميع لا يعرف إن كان سيخرج من السجن أو لا ، وتوفيت والدته من حزنها وطول انتظارها ، وقصة هذا الرجل هي من بين قصص ومآسي السجناء في سوريا.

خرج قسم كبير من هؤلاء السجناء في الثورة بعد مطلب ملح بإخراجهم ، في مدة سجن لكل سجين منهم أقصر مدة للسجين الواحد منهم كانت ثلاثة سنوات ، خرجوا من سجونهم ووجدوا نور الثورة أمامهم، ووجدوا في القتل بيد سجّانهم فما كان منهم إلا ان يحملوا السلاح فيما بعد مع إخوانهم الذين حملوا السلاح حتى لايطال الظلم الذي ذاقوه أحد من السوريين فيما بعد.

لكن ممن المؤلم أن يُسجن أحدهم ست أو سبع سنوات ثم يخرج فيما بعد ويحمل السلاح للدفاع عن أهله ويتوفى شهيداً، ماذا رأى من الحياة غير ظلم وقهر وسجن ، ومن ثم قتال ظالمه وليستشهد بعدها.

هذا نوع من الاعتقال في بلادنا ، وهناك نوع آخر من الاعتقالات الذيكانتدولةالنظامتنتهجها، وهو الاعتقال السياسي ، وهذا النوع من الاعتقال جرى مجرى الدم في العروق من الأب حافظ الأسد إلى ابنه بشار عندما تسلم، بعدماكان حافظ الأسد قد زج الكثير من المعتقلين في السجون بعضهم توفي في السجن وأهلم لا يعلمون عنهم شيء، وبعضهم قد سُجن عشرات السنين والمصير مجهول لأن سجون آل الأسد أشد فتكاً فيما سواها، ملأ الأسد الأب السجون في أحداث حماة ١٩٨٢م واعتقل الآلاف ، ومنهم لم يخرج إلى اليوم مثل ذلك قد أُعدم في السجون ولا أحد يدري عنه أي شيء، وغيرها من الأحداث التي جرت في سوريا وتذرع بها نظام الأسد ليملأ بها السجون، ولا ننسى من ناضل وسُجن في عهد الأسد الأب، ولحقه في ذلك النهج أيضاً حكم الأسد الابن، فكان من المناضلين السياسيين الذين قضوا سنوات في سجون الأسد جزاء معارضتهم للأسد وآل الأسد:

ميشيل كيلو ، هيثم المالح ، جورج صبرا، وحسن عبد العظيم ..... وغيرهم الكثير .

توفي الأسد الأب ليتسلم عرش الطغاة ابنه من بعده ، لكن هل سيكون الابن أفضل حالاً من أبيه سواءً في ملفات الاعتقال التعسفي أو غيره ؟؟

لم يحدث أي تغير أو تطور في النظام مادامت السلطة الأمنية هي المهيمنة الكاملة ،وفقاً للمحامية رزان زيتونة: "بمقارنة بسيطة بين عام ٢٠٠٣م ٢٠٠٤م نلحظ أن وتيرة الاعتقال لم تشهد تغييراً إيجابياً يُذكر بل على العكس تماماً".

وتنقل المحامية عن منظمات حقوق الإنسان المحلية فقد تم إحصاء حوالي ثلاثمئة حالة اعتقال بنفس العام أي ٢٠٠٤م ، فكانت أكثر الاعتقالات تستند إلى تهم الانتماء إلى حركات (وهابية ، سلفية ، أحزاب سرية ...وغيرها) بالإضافة إلى عدد من النشطاء والمتهمين بالشأن العام، فضلاً عن اعتقال مئات من الشعب في الأوساط الكردية على خلفية الاحتجاجات.

خرج عدد من المناضلين السياسيين ضد الاستبداد بالتوقيع على ما كان يُعرف بإعلان دمشق عام ٢٠٠٥م تدعو إلى إنهاء خمسة وثلاثين عاماً من حكم آل الأسد لسوريا واستبداله بنظام ديمقراطي.

بناءً على الإعلان فقد صدر على موقعيه حكم بالسجن ثلاث سنوات والتهمة هي زعزعة الشأن العام أو النيل بهيبة الدولة (الأسد هو بنفسه الشأن العام وهو هيبة الدولة).

وصدر الحكم بحق كل من شارك بالتوقيع على هذا البيان ،فكان منهم : حبيب عيسى ، عارف دليله ، فواز تلو ، وليد البني، كمال اللبواني، ومأمون الحمصي .....

سُجن من سجن منهم ولربما سُجن أغلبهم أو أكملهم ، فقد سُجن اثنا عشر سنة ومنهم: فداء الحوراني، أحمد صالح خضر، أكرم البني، وفايز سارة، مروان العش.....وهناك منهم من أمضى حياته من سجن إلى آخر من سجون الأسد حسن عبد العظيم ، وهيثم المالح... وغيرهم، لم نكُ على اطلاع بأي عمل سياسي على مثل هذا العمل السياسي ، لأن الشعب كان مُبعداً عن مثل هذه الأمور ، لكن من ناضل وسُجن لعدة مرات واستمر في نضاله السياسي لكسر عهود الطغيان والاستبداد له من الشعب الثائر الآن أرق تحية على نضالهم ، وثورة الكرامة ٢٠١١م هي إكمال لمشوار الحرية الذي بدؤوه ، لحقت تلك الاعتقالات اعتقالات عام ٢٠٠٦م الاحتجاجات الكردية ،حيث قتل منهم من قتل وزُج

الكثير منهم في السجون، هكذا تتابعت الاعتقالات إلى أن وصلنا إلى ٢٠١٠م حيث شن النظام في ذلك العام حملة من الاعتقالات بجميع الحجج والذرائع ، حيث اعتقل الكثير من الشباب السوري كتهم السلفية والوهابية كعادته ، واعتقل قسم كبير أيضاً بتهم سياسية بائدة ، فكان من أبرز المعتقلين السياسيين طل الملوحي تلك الطالبة الجامعية التي كتبت على شبكة النت مناشدة بشار الأسد أن يسمح بفترة ديمقراطية ، وينهي عصور الفساد كما وعد.

اعتقلت الناشطة ودافع الاعتقال هو التدوين على شبكة النت أما التهمة الموجهة ضدها هي التجسس لصالح الموساد الإسرائيلي ولصالح المخابرات الأمريكية ، وهذه هي أغلب التهم التي يوجهونها إلى كل من مس السيادة الوطنية وبالتحديد أكثر سيادة بشار الأسد، أيضاً كان من المعتقلين أقرب الناس لي وهو ابن عمتي إذ سجن لنفس الموضوع ، وسُجن ما يقارب السنة ، وخرج في بداية الثورة بضغط من مطالب الثورة بالإفراج عنهم ، سألته عن التهمة التي وجهوها إليه ، قال: التهمة كانت التعامل مع الجهات الخائنة (وقلت لهم أذكروا لي ماهي الجهات الخائنة حتى أقول لكم نعم أو لا) . استمر سجنهم ما يقارب السنة حتى خروج الثورة ، وكانت من أهم مطالب الثورة الإفراج عن المعتقلين السياسيين ، وأفرج عن قسم منهم في بداية الثورة.

وتلك الاعتقالات الجائرة الظالمة ولّدت لدى الشعب احتقاناً زائداً.

كانت الناس في سوريا عندما توجه تهمة إلى ناشط سياسي بالعمالة وغيرها ، تقول الناس من خوفها بأنه عميل ولا أحد يخوض في الحديث أكثر من ذلك، لكن في الفترة الأخيرة أصبح الشعب يقول: كذب، كالتهمة التي وجهت لطل الملوحي الكل قال كذب، لأن أغلب أراضي سوريا لا يكاد يخلو حي أو بلدة إلا وفيه قصة من قصص الاعتقال ، مع

قصص الاعتقال وتراكم الضرائب زادت الأسعار بشكل جنوني ما قبل الثورة بقليل ، قصص الكبار وآلامهم قد علمها الصغار .

وكان التوتر مشهوداً في الشوارع السورية بعد ثورة تونس ومصر حيث قامت وزارة الداخلية السورية بتوزيع نقاط حرس صغيرة للشرطة ، قامت بنشرها في معظم أرجاء سوريا في الساحات العامة وأمام المساجد والأماكن التي يتوقعون أن يحدث فيها أي شيء من قبيل المظاهرة أو غيرها .

آلام الكبار علمها وتجرعها الصغار ولم يصبروا على ظلم قد صبر عليه الكبار ، وقرروا التصرف بعمل ما حتى آبائهم في البداية لم يعلموا مالذي فعله أولادهم ، اشترى عدة أطفال قطع من الدهان التي تسمى " بالبخاخ" وتسللوا ليلاً إلى إحدى المدارس ليكتبوا على جدرانها العبارات التي تلم على سخطهم بالواقع وكان التأثر واضحاً بالثورات العربية السابقة ، كانت من أهم العبارات التي اهتز لها عرش النظام " إجاك الدور يا دكتور".

استسقى الأطفال هذه الفكرة من مسلسل درامي كان يُبث على القنوات الفضائية ، كانت إحدى حلقاته تسمى الرجل البخاخ ، حيث يقوم ذلك الرجل بالكتابة على جدران المديريات كل يضايق الشعب منهم ، ومع انطلاقة الثورة قامت القوات الأمنية باعتقال مخرج ومؤلف تلك الفكرة في الحلقة ، استلمها الأطفال في درعا وكتبوا على جدار المدرسة تلك العبارة ، جاءت القوات الأمنية في صباح اليوم الثاني وقامت بطلائها ، وطوي الموضوع كاملاً على أنه استثنائي حتى لا تحدث أي بلبلة في البلاد ، غيَّر الأطفال المدرسة إلى مدرسة أخرى وبعبارات أوسع على الجدران " الشعب يريد إسقاط الرئيس" بالإضافة إلى العبارة السابقة أيضاً، ازدادت العبارات يوماً بعد يوم وازدادت الفكرة شيوعاً في المحافظة، وازدادت المدارس التي يستيقظ الأهالي على الكتابات على جدرانها، أما حال المدرسة التي يستيقظ طلابها على مثل تلك الكتابات يهرب كافة الطلاب وما على مدير المدرسة إلا الإبلاغ عن

هذه الكتابة لتاتي القوات الأمنية وتقوم بمسحها بعد أن تفرض حصاراً على المدرسة وتشكل انتشاراً في الحي المحيط بالمدرسة ، ضاقت القوات الأمنية ذرعاً بهذه الممارسات قامت بعدة إجراءات لتقضي على هذه الحادثة، وهذه الحادثة وصفها النظام لاحقاً حين قيام الثورة أن من كتب على الجدران كان ممن تقاضى مبلغاً من المال ليكتب مثل تلك الشعارات ، ودفعت الشعب بنفسه وبأولاده إلى التهلكة ، تلك من السخافات التي كان النظام دائماً يطلقها في أي عمل شعبي مناهض له .

هل يمكن من فقد معتقلاً أن يدفع بآخر لهذا النحو ؟؟ !!!!!!

وهل يفرط أحد بأحد أبنائه مقابل مبلغ من المال في ظل دولة عُرفت بحكمها الحديد والنار؟؟؟!!!!!

ولماذا إن كان مثل ما تقولون لم تعالج القضية بطريقة متفاهمة وسلمية ؟؟؟؟!!!!!!!

مهما ألقى النظام من التهم السخيفة ، فقد انتشرت الثورة السورية من تلك الحادثة على كامل تراب سوريا ، وعُرفت قصة الثورة بأظافر أطفالها .

أما إن عدنا إلى الإجراءات التي اتخذتها القوات الأمنية عندما رأت الكتابات على جدران المدارس لمرات متكررة :

فرضت في البداية على كل مدرسي المدارس كافة التناوب في النوم في المدارس وذلك منعاً من تكرار كتابة مثل هذه الأمور.

حيث شُغلت المدراس ليلاً نهاراً بأحد المناوبين من المدرسين ، وإن كُتب شيء في إحدى هذه المدارس ستقع المسؤولية كاملة على المدرس المناوب.

أما الإجراء الآخر الذي قامت به هو الاعتقال التعسفي، لكن هذه المرة الاعتقال غريب من نوعه حيث سيطال الأطفال دون الرجال،

بدأت القوات الأمنية بشن حملة اعتقالات بحق أطفال الحي، حيث اعتقلت في حيّنا خمسة وعشرون طفلاً واتحدث عن هذا العدد في حي درعا البلد الذي كانت منه شرارة الثورة السورية، والذي بدأت منه الثورة بهذه الحادثة حادثة اعتقال الأطفال الذين كتبوا على جدران المدارس في السابع والعشرين من شهر شباط ، يعض الأطفال الذين أُعتقلوا ربما يكونون قد كتبوا على الجدران لكن الكثير منهم لا ناقة لهم ولا جمل بتلك الحادثة ، لكن تلك هي عادة أجهزة الأمن إذا أرادت أن تعاقب منطقة من المناطق.

كان جهاز الأمن الذي اعتقل الأطفال هو فرع الأمن السياسي وكان يترأسه العميد عاطف نجيب ابن خالة رئيس البلاد، وربما رئيس البلاد بنفسه لا يستطيع أن يتخذ ضده أي إجراء، ضاقت الحياة بالناس وأطفالهم وقرة أعينهم في معتقلات الأسد ، يستيقظ الأب في الصباح لا يجد ابنه لابساً لباس المدرسة ليذهب مع إخوته الصغار إلى المدرسة ولا يجد ابنه يلعب مع الأطفال ، ذلك الابن الصغير الذي إذا أراد شيئاً ظل يبكي حتى يناله والآن أين هو ؟ وما هو حاله ؟

وهو الآن يبكي داخل أفرع الموت بيد أعتى وأظلم قوات الأمن لا يوجد في قلوبهم أي مكان للرحمة، ماذا يفعل الابن الأب وابنه وصغيره في هذه السجون وكلنا نعرف ما هذه السجون ، هو يتضرع لربه ليلاً ويبكي عليه صباحاً ومساءً ضاقت بوجهه الحياة لم يصبح لها أي طعم إذا دخل إلى بيته وجد امرأته والدة الطفل تبكي ، وإذا خرج من بيته وجد أصدقاء الطفل يلعبون ، ومن ثم يتحدثون عن مؤامرة وعن قومية وعروبة النظام !

ربما يكون النظام محقاً في معاقبة مثل ذلك الرجل لأنه أمريكي او إسرائيلي معادياً للمقاومة فأحب أن ينتقم منه باعتقال صغيره،

يا للسخف ويا للعار!

أي شريعة في الغاب – ولا نسأل عن قوانين العروبة – بل نسأل عن شريعة في الأرض تفرض على مواطنيها أن يعيشوا مثل تلك الحالة ، فالرجل في مثل تلك الحالة لا يستطيع أن يطالب بابنه فيُسجن ويُنسى ، ولا يستطيع أن يسكت على سجن ابنه ويتابع حياته. وسمعت من والد أحد الأطفال يعبّرعن تلك الحالة بلسان اليأس والحزن يقول: " لو كان ابني قد مات أو قتلوه وبعثوا إليَّ جثته أهون على نفسي من هذه الحالة التي استشعر فيها صيحات ولدي في العذاب، وجسمه الصغير لا يحتمل أي عذاب "

لم يكن لأهالي المعتقلين إلا أن يذهبوا إلى وجهاء المدينة ويطلبوا منهم أن يذهبوا إلى عاطف نجيب ويطلبوا منه أن يخلي سبيل الأطفال ، وجهاء المدينة يعرفون ما مدى عناد ذلك الرجل واستبداده وتسلطه، لكنهم قرروا ألا يسكتوا عن هذا الأمر بدؤوا يشكلون وفداً كبيراً مؤلفاً من كامل وجهاء المدينة في درعا البلد ، وفي درعا البلد وإن كان يُعتبر حي من مركز المدينة لكن كبار ذلك الحي يمثلون رؤوس العشائر في الاحترام، شكلوا وفداً كبيراً وقرروا أن يذهبوا إلى عاطف نجيب رئيس فرع الأمن السياسي في درعا ، وأخذوا منه موعداً حتى يدخلوا عليه في كتبه ، وعندما دخلوا عليه كان قليل الترحيب بجبروته وتسلطه ، شرحوا له أن الأطفال دون سن الرشد وما فعلوه من فعل لا يلم عن أحد عاقل وراشد وإنما هو تصرف فردي وتصرف أطفال هذا إن كانوا هم من كتب الشعارات على الجدران ، وتوعد أهل الأطفال أن يؤدبوهم وألا يتكرر هذا الأمر في درعا بأكملها ، في بداية الأمر رفض أن يعطي أي جواباً عن الأمر ، لكن عندما أصروا عليه في الطلب أن يخلي سبيل الأطفال، كان الجواب منه الذي إن أراد أن يعبر عن شيء إنما يعبر عن تسلط الأجهزة الأمنية وأنهم لا

يرون في أعينهم أحداً سواء أكان وجهاء المدينة أم غيرهم، بل ولا يرون المدينة بأكملها، هو لم يراعي بجوابه جلالة ذي الشيبة ولم يراعي كبر الشخص الواحد منهم ، ظنوا أنهم سيركعون البلاد بالحذاء الأمني فضلاً منه عن العسكري يظنون أن البلاد ستبقى صامته إلى الأبد يشتمون ويهينون من يريدون دون أي رادع ، والثقة كبيرة بمنصبه ومكانه ، والثقة كبيرة بأن الرئيس الذي هو ابن خالته لا يستطيع أن يزحزحه من مكانه .

لمن وجه ذلك الجواب الدنيء ؟؟؟

لوجهاء المحافظة التي هو قائم عليها ، أي أنه بذلك الجواب توجه فيه إلى كامل المحافظة دون أي مبالاة ، ونسي أن أهل سوريا عامة وأهل حوران خاصة كل شيء عندهم دون الشرف والعرض، فكان الجواب الذي وجهه رئيس فرع الأمن السياسي عاطف نجيب ابن خالة رئيس البلاد لوجهاء وكبار المدينة حين طالبوه أن يخلي سبيل الأطفال ، وقال بكل دناءة:

" صرعتونا بالأولاد جيبوا غيرهم ...إذا نسوانكم عجزن يجيبن غيرهم أبعثوهن لعندنا ، ونحنا بنخليهن يجيبن غيرهم "

أي رد هذا ؟؟؟؟؟..... وأي مهانة للعرض هذه؟؟؟؟؟

لو شتم طفل طفلاً آخر بهذه الشتيمة لضربه ضرباً مبرحاً لا يتركه حتى يدميه على هذه المسبة ، فكيف بوجهاء وكبار المحافظة ؟!

يحسبون أن الناس خشب ليس لديها أي مشاعر او أحاسيس، أو أن الناس ماتت فيها النخوة، أو أن الناس بخوفها من الدولة القائمة ومن أجهزتها الأمنية تُهان ويُداس على كرامتها وعرضها ثم تطأطأ رأسها وتقول سمعاً وطاعةً ، ثم يكررون بالقول : مؤامرة !

وكأن أهالي درعا عندما ذهبوا إلى رئيس فرع الأمن السياسي فوجدوه مرحباً بهم ، وعندما طلب منهم أن يخرج الأطفال قال: على الفور مقابل تعهد بعدم إعادتها ، ماذا لو فعل ذلك؟؟؟؟

أليس لو فعل كل ذلك حُلت المشكلة من أساسها ووفرنا على سوريا خرابها وآلاف الشهداء ومئات الآلاف من المعتقلين والجرحى وملايين اللاجئين ، فكيف بها الآن تتصارع عليها كبار الدول بسبب جبروت أهلها وعقليتهم الاستبدادية غير مبالين بما تشهده المنطقة بتوترات شعوبها بثوراتها القائمة ، ظنوا أن سوريا من المستحيل أي يحل بها شيء من قبيل الثورة ، وهذا ما كان يتوهمه رئيس البلاد بذاته في تصريح له قبل الثورة لصحيفة (وول ستريت جورنال الأمريكية) جاء فيها: أن ما تشهده تونس ومصر لا يمكن أن تشهده سوريا".

يظهر للخارج أن في سوريا شعب يحبه ، ويظهر للداخل أن في سوريا شعب يهابه ويخافه لذلك لا يمكن أن تشهد سوريا مظاهرات عليه ، ولم يعرف وربما يعرف وتجاهل أن الشعب وكان يغلي وفي انتظار أي شرارة لتحرقه وتحرق أعواماً من الظلم، ظناً منه ومن دولته حتى وإن شهدت سوريا مظاهرة هنا أو هناك سيقوم بقمعها وينتهي الأمر ، كما انتهى الأمر في محافظات سوريا فيما مضى.

بعدما سمع وجهاء مدينة درعا الجواب من رئيس فرع الأمن السياسي بالإهانة لهم ولأهل درعا لم يكن لهم إلا أن يخبروا أهالي المعتقلين بما جرى لهم متنازلين عن دورهم إلى الشباب لكي يتصرفوا وخاصة عندما علم غالبية أهل درعا بذلك الرد القبيح .

كان الشارع السوري يشهد تطورات آنذاك تنذر بأن شيء ما سيقع في سوريا، لكن متى ؟ وأين ؟ لا أحد يستطيع أن يتكهن في ذلك الوقت، فالتوتر في سورية كان محسوساً وكل

سورية كانت في انتظار الشرارة التي تعلن فيها انطلاق ثورتها ، شهدت سورية بعض التحركات الصغيرة لكنها لم تكن كافية لإعلان الثورة السورية .

الشعب السوري كغيره من الشعوب العربية يجلس شاهداً ماجرى في تونس ، أُسقط رئيس تونس.....

وجاءت بعدها ثورة مصر ازداد الاهتمام والتأمل ، فالكل يشاهد شاشات التلفزة صباح مساء، وتتابعها الشعوب ساعة بساعة بتفاصيلها، الأمر تغير بدأت الشعوب بحقها في وجه جلادها دون أي خوف أو تردد، لكن أين الشعب السوري من هذه التحركات؟

فالشعب السوري هو الأحق في هذه التحركات أكثر من شعوب المنطقة نفسها لما كان يعيشه من الويلات والقهر، لكنه بقي في خوف دائم وتردد لما رآه من تجارب قام بها في عهد الأسد نفسه وغيره ، لكن الأمر تغير في ٢٠١١م عام الثورات والعام الذي قالت به الشعوب لحكامها كفى، بدأ الشعب السوري بالتعبير عن مظلمته أكثر منذ تفجر أول مظاهرة في تونس ،بداية خرج الشعب السوري عن صمته بمظاهرة صغيرة خرجت في حي باب توما الدمشقي في ٢ شباط للتضامن مع الشعب المصري ومع ثورته ، كانت المظاهرة مؤلفة من خمسة عشر شخصاً أحاط بالمظاهرة ما يقارب أربعون من عناصر الأمن وقاموا باعتقال كامل المظاهرة الصغيرة كان من أبرز المشاركين في تلك المظاهرة الناشطة سهير الأتاسي ، هذه إحدى الأمور التي كانت تنذر بأن شيء ما سيحدث في سوريا، هو الذي نستطيع أن نصفه بإحدى إرهاصات الثورة السورية ، هي مظاهرة صغيرة خرجت للتضامن مع الشعب المصري، لم تخرج تلك المظاهرة بمطالبة الدكتاتور بمطالب ، ولم تخرج بشعار من شعارات الثورة ، فقد خرجت للتعبير عن التضامن للشعب المصري في ثورته ضد جلاده، كما هو الحال حين كانت الشعوب تتضامن مع الشعب الفلسطيني بالمظاهرات والمسيرات المنددة ، لأن الظلم الواقع على الشعب واحد سواء أكان من المستبد أم من المحتل ، لكن

نظام الاستبداد في دمشق لا تروق له مثل ذلك التضامن ، لأن هناك مثل شعبي عامي في سوريا يقول: "الذي فيه شوكة تنخزه"

مثل يقال لمن اشترك بنفس الجُرم ويضيق عليه الجُرم كما يضيق على صاحب الجرم الأصلي.

لو لم يكن مستبداً لما ضاقت عليه تلك المظاهرات الصغيرة ، قمع هذه المظاهرة التضامنية وساد في سورية الهدوء ومرت معها حادثة هي غريبة من نوعها وعفوية في نفس الشهر في السابع عشر من شباط ٢٠١١م، اعتدى أحد رجال الشرطة على ابن أحد المحال التجارية في حي الحويقة الدمشقي أيضاً حيث انهال الشرطي على ذلك الشخص بالضرب حتى ضربه ضرباً مبرحاً أمام أعين كل من كان في ذلك السوق ، لكن لن يمر هذا الأمر كغيره كما كانت تمر سابقاً، بدأ العشرات ممن كانوا في السوق يحتشدون حتى شكلوا تجمعاً صغيراً وأخذوا يهتفون " الشعب السوري ما بينذل" ويكررون هذا الهتاف وتعالت أصواتهم ، ارتعدت فرائس النظام من ان تتحول إلى مظاهرة كبيرة منددة به وبفساده ، لأن الفساد قائم والظلم قد وقع خشي أن تكون تلك المظاهرة هي الشرارة وتكون منطلق الثورة في سورية ، سارع وزير الداخلية في سورية آنذاك إلى الذهاب إلى المكان الذي كان الناس يحتشدون فيه وسألهم عن مطالبهم ووعد بإجراء تحقيق في ذلك الأمر ومعاقبة الجاني ، انقضت المظاهرة وعادت الحياة بخير وسلام بالنسبة إلى نظام الأسد ، وبعد عشرة أيام كانت حادثة اعتقال أطفال درعا التي ذكرتها في ٢٧ شباط ، بدأت فيما بعد صفحات على شبكات التواصل الاجتماعي تدعو إلى مظاهرات في سوريا، لكن حجم الخوف والتردد الكبير بقي المسيطر على الواقع ودُعي إلى مظاهرة في يوم الثلاثاء في الخامس عشر من أذار في سوريا خرجت مظاهرة صغيرة في سوق الحميدية خرج العشرات فيها لكن سرعان ما تجمع عدد كبير من الشبيحة وفرقوا هذه المظاهرة، ثم مشوا في شوارع السوق وه يهتفون للقائد حتى يعبروا عن

ذلك التجمع ما كان إلا مسيرة مؤيدة صغيرة وذلك ماخرجت به أيضاً وزارة الداخلية ببيان لها في نفس الليلة ، لكن هل شهد ذلك اليوم إعلان الثورة السورية ؟؟لا لم تكن كافية لإشعال الثورة في سوريا بعد، شهد في اليوم الثاني الأربعاء اعتصاماً صغيراً أمام مبنى وزارة الداخلية حيث احتشد أهالي المعتقلين مطالبين بمعتقليهم، لكن النظام لا يعرف إلا لغة القمع والسجن والضرب ، جاءت قوات من الأمن وفضت ذلك الاعتصام وقامت باعتقال ما يقارب اثنين وثلاثين شخصاً ليذهبوا إلى سجون الأسد مع أقربائهم بدلاً من أن يخرج المعتقلون إلى أهلهم، ذلك ما كان يفقهه النظام في سوريا، جميع تلك الامور التي ذكرتها كانت ارهاصات لثورة عظيمة ستقع في سوريا ، كان قوامها أن الناس ماعادت تسكت على الظلم ولم يستطيعوا أن يتحملوه عقوداً طويلة كما تحملوه سابقاً، فكانت تلك الحوادث التي تشكل دفعاً إلى تاريخ جديد سيكتب في سوريا، بالإضافة إلا تلك الحوادث السابقة فقد حصلت في محافظات سورية عدة،كانت قد خرجت فيها مظاهرات مناهضة لسياسة النظام لكنها سرعان ما قُمعت ويسيطر النظام على وضع المدينة بعدها بالاعتقال والعنف حتى تعود الحياة على ما كانت عليه .

رغم أن نظام الأسد استطاع أن يسيطر على جميع تلك الحوادث الماضية بقي الشعب السوري ينتظر بداية لثورة يقوم فيها، شكلت تلك الحوادث دفعاً معنوياً لأهالي درعا إلى أن يلحوا على مطالبهم بإخراج أسراهم ولا سيما الأطفال بعد الإهانة التي وجهها إليهم رئيس الفرع الامن السياسي، وجه الشباب في درعا مهلة إليه وقدرها أسبوع إن لم يخرج الأطفال فإن درعا ستشهد مظاهرات لم تشهد مثلها سوريا، لعله يعتبر من حوادث سوريا السابقة ويذهب إلى الحيلولة في درعا ويلبي مطالبها، لكن ازداد تعنت عاطف نجيب وكثف دورياته الأمنية بدلاً من ان يلبي طلب واحد من المطالب، وكثف دوريات الشرطة في البداية مع بعض عناصر الأمن في محيط الجامع العمري ، كان يعرف ويشعر إن حدث شيء في درعا فسيحدث في درعا البلد لأن أغلب المعتقلين من هذا الحي ، وإن حدث في درعا البلد

فالمركز لها والرمز هو الجامع العمري الكبير أكبر جوامع درعا وأقدمها وله قيمة تاريخية وحضارية عند أهل درعا كافة، لذلك ركز مع محافظ المدينة على ذلك الجامع فعزل خطيبه الشيخ أحمد صياصنة أمام وخطيب الجامع، ولم تجد أي وساطة في إعادته إلى الجامع ،وهُمش الجامع من كافة الخدمات ،حتى تقلص عدد المصلين وذلك ما أرادوه ، حيث كان المصلون يملؤون الجامع بساحته وأروقته فكان يتسع لأكثر من ثلاثة آلاف مصلي ، وفيما بعد تسلط رئيس فرع الأمن السياسي ومحافظ المدينة عليه أصبح يستقبل الجامع أقل من خمسمئة مصلي فقط ولا يخلو في كل جمعة لوجود أمني .

فكان الشيخ أحمد يذهب إلى جامع أُنشئ حديثاً على مقربة من الجامع العمري و يذهب إليه الشيخ إماماً لا خطيباً لأنه عُزل عن الخطابة بشكل كامل، كانت الناس تحب ذلك الشيخ كثيراً، أينما يذهب تتبعه الناس لذلك كان العدد الاكبر من المصلين في الجامع الذي يتواجد فيه الشيخ –جامع الحمزة والعباس– فكانت الفرصة سانحة لتشكل تنسيقاً شديد السرية لبعض الأفراد ، فكان التنسيق على أن يقوم بعضهم ويعلي التكبير في ذلك الجامع ويرفع باقي الأفراد أصواتهم بالتكبير ويرفعوا مطالبهم بشكل سريع ويفضوا المظاهرة بعدها، تم التنسيق في مساء يوم الخميس ففي صباح يوم الجمعة ظنت الأجهزة الأمنية بأن المظاهرة إن خرجت ستخرج من الجامع العمري ، فكانت على أهبة الاستعداد ولا سيما في نقطة الشرطة التي كانت موجودة على أحد أبواب الجامع، استمعنا لخطبة الجمعة في جامع الحمزة والعباس في ٢٠١١/٣/١٨م ما إن انتهت صلاة الجمعة وقال الإمام : السلام عليكم ورحمة الله ليقطعا صوت أحدهم صارخاً: الله أكبر ، تكبير،

رد عليه رجل من يمين الجامع وآخر من جهة اليسار منه ، بدا الصوت يتعالى ، اغلب من في الجامع في دهشة مما يرونه ويسمعونه ،شيء غريب ولا سابق له في بلاد تعودت على كم الأفواه، تجمع السباب عند باب الجامع وهم يكبرون حتى تجمع حولهم ثلاثون رجلاً،

فكنت شاهداً على تلك الحادثة كان عدد الشباب الذين تجمعوا أمام الجامع في بادئ الأمر لا يتجاوز الثلاثين أخذوا يكبرون في باب الجامع ومن ثم بدؤوا بالهتاف الجديد من نوعه في تاريخ سوريا: " الله ... سوريا..... حرية وبس"

يقع هذا الشعار في أذن كل سوري مستغرباً إياه لأن الجميع تعود :

" الله ..... سوريا..... بشار وبس"

أُسقط بشار من الشعار ورفعت الحرية التي أزعجت نظامه بدلاً منه.

٧٠

بدأ العدد في الازدياد، عندما رأى الشباب أن عددهم في ازدياد، والإقبال كبيراً على المظاهرة ، قرروا أن يكملوا مظاهرتهم إلى الجامع العمري مشياً حتى يعلنوا مطالبهم من هناك وليكتمل عدد أكبر من المتظاهرين من خلال قطع المسافة ، وشى المتظاهرون في الشارع بهتافاتهم وكان من بين الهتافات هتافاً يستنهض همم الشباب في درعا ليشاركوا في المظاهرات " يا حيف درعا يا حيف شعبك واقف على الرصيف" كان كل من يسمعه يشارك في المظاهرة، حتى وصلت المظاهرة إلى الجامع العمري بعدد كبير لا بأس فيه انسحب عناصر الشرطة الموجودة في محيط الجامع العمري لكي لا يحل بينهم وبين المتظاهرين أي صدام، واكتفوا برفع الأمر إلى الجهات المسؤولة ، بدأ تجمع عدد من الشباب في ذلك الوقت حول الجامع العمري وتعالت أصواتهم حرية .... حرية والشعارات الأخرى المناهضة للفساد والاستبداد، لم يكن هناك في بداية الأمر أي شعار يطالب بإسقاط النظام، كان المظاهرة منددة بسياسات النظام القمعية ولا تدعو إلى إسقاط رأس النظام بشار الأسد إلا حين ارتفعت وتيرة القتل وأثبت رأس النظام للشعب السوري مسؤوليته عن الجرائم ضد أبناء شعبه ، أصاب مجلس المحافظة الإرباك ماذا سيفعلون أمام هذه المظاهرة ؟

في البداية اتصلوا بالشيخ أحمد الصياصنة على ان يذهب إلى الجامع العمري وأن يهدّأ المتظاهرين، الآن تذكروا الشيخ أحمد صياصنة هو الخطيب للجامع العمري بعد منعه دام ما يقارب سنتين —سأذكر فيما بعد مناقب هذا الرجل وما عاناه من استبداد نظام الأسد قبل وأثناء الثورة —

يعرف الشيخ مدى دموية النظام أن أقدم الشباب على مثل ذلك الأمر لكن لا مجال أمام تزايد الإهانات من النظام لن يبقى الشعب خانعاً صامتاً، ذهب الشيخ مسرعاً إلى الجامع العمري الشباب في محيطه يهتفون يقطع صوت هتافهم صوت مأذنة الجامع العمري، الشيخ أحمد متحدثاً إلى الشباب:

يا شباب درعا ويا شباب حوران.....يتابع الشيخ حديثه ويقول :

اتصلوا بي حتى أقول لكم كفوا عن مظاهراتكم ، وأنا أقول لكم مادام الأمر قد حدث استمروا حتى نُعلي مطالبنا ونحقق كافة المطالب".

تتعالى التكبيرات في محيط الجامع وهذا هو عهد أهل درعا بالشيخ جريئاً لا يخاف ولمة لائم أمام مطلب الحق، بقي الشيخ في الجامع ويوجه الشباب بعدم النزول إلى مركز المدينة حرصاً على أرواح الشباب، لأن حي درعا البلد قائم على تلة يفصله عن مركز المدينة وادي الزيدي المشهور في قدمه ، وفي مركز المدينة تقع كافة الأفرع الأمنية الإجرامية ، فكان يناشد الشباب بعدم النزول إلى المحطة لكي لا يصطدم الشباب مع عناصر الأمن فتزهق أرواح الشباب، دخلت إلى الجامع فوجدت الشيخ أحمد وقد أحاط به بعض من علماء درعا وبعض من الأهالي ، اتصلوا بالشيخ مجدداً وأخبروه أن وفداً رسمياً سيأتي ليسمع ماهي مطالب الشباب ، كان رد الشيخ على الرحي والسعة ، دقائق من الوقت حتى جاء قائد الشرطة ومعه المحافظ ، علم الناس أن محافظ درعا في إحدى السيارات ، وكان غضب اهلي

درعا على محافظهم في الرتبة الثانية بعد رئيس فرع الأمن السياسي وربما اقتسموا الاثنان المشكلة التي تسببوها في المحافظة، ما إن وصلت السيارات من المتظاهرين على بعد ٥٠٠م منهم ، حتى أخذ الخوف المحافظ الذي ظن أن هناك بعض الأفراد يتظاهرون لا يتجاوزوا العشرات تفاجأ بذلك العدد المتظاهر، وأخذته الخشية من المرور بجانب المظاهرة لأنه يعلم أنه أحد أسباب خروج المظاهرة ، وقف الموكب وأمر بأن يرجع إلى المحافظة ويتابع قائد شرطة المحافظة طريقه إلى الجامع ويسمع منهم ماهي مطالبهم ثم يأتي بها إلى المحافظة، أكمل قائد الشرطة طريقه إلى الجامع دون أن يعترض طريقه إلى الجامع أي أحد من المتظاهرين ، وكان المحافظ قد قال لقائد الشرطة أجمع المتظاهرين في الجامع واسمع ماهي مطالبهم ، وصل قائد الشرطة الجامع وأخذ يدعو الناس من خلال مكبرات الجامع إلى الدخول إلى الجامع لكن الناس رفضوا الدخول إلى الجامع لأنهم خططهم الخبيثة التي تهدف إلى جمع كافة الشباب المتظاهر في الجامع ومن ثم محاصرة الجامع بالعناصر الأمنية واعتقال من في الجامع، وكان النظام قد نفّذ هذا العمل الخبيث في محافظة أخرى، كان الشيخ أحمد بالنيابة عن الشباب يرفع أهم المطالب للوفد وهي إخراج المعتقلين وأن الشباب لن يتزحزح عن إخراج المعتقلين، كان ممن حضر مع الوفد فريق من التلفزون السوري كان على أمل أن يأتي المسؤول –سواء أكان المحافظ أم غيره– إلى الناس ويقول لهم كافة مطالبكم سوف تُلبى حتى يرضيهم بتلك الكلمات ويطلب منهم أن يهتفوا للرئيس ويصور التلفزون السوري ذلك على أنها مسيرة مؤيدة وليست مظاهرة ، لكنها فشلت جهودهم وفشل كذبهم ، خرج قائد الشرطة وفريق التلفزون السوري يجرون وراءهم ذيول الخيبة بما رأووه وسمعوه.

أما عاطف نجيب حين سمع بأن هناك مظاهرة في درعا البلد بعث دورية للأمن السياسي لفض المظاهرة وتعتقل إليه المزيد من الشباب، وصلت السيارة إلى المتظاهرين واعتقلت أحد الشباب الموجودين ليهرع إليها باقي الشباب ويحرروه من أيديهم وما كان من عناصر الأمن إلا ان يبقوا سيارتهم ويفروا هاربين أمام ذلك الجمع من الشباب، أما المحافظ المجرم الذي عاد

من منتصف الطريق ذهب إلى مبنى المحافظة واتصل بالجهات المختصة من عناصر مكافحة الإرهاب في دمشق ليقول لهم: أن هناك تمرداً مسلحاً في شوارع درعا لبعض الشباب في درعا البلد وإن لم تدركوا الأمر مسوف ينزلون إلى مركز المحافظة ويقتلوننا جميعاً، ذلك الكلام الذي قاله المحافظ في مكالمة هاتفية مع دمشق بدلاً من أن يقول الحقيقة في المظاهرة، وقد أثبت هذا الكلام كبار المسؤولين عندما اختاروا الشيخ أحمد للوساطة ، قالوا له بأن المحافظ قد نقل لنا الصورة خاطئة، وبعد إخبار المحافظ بذلك الخبر وصل إلى الجامع العمري أن هناك إنزال مروحي يتم الآن في الملعب الجديد في مركز المحافظة، حيث تم إحضار المئات من جنود مكافحة الإرهاب، وتم نقلم ضمن باصات من المدينة الرياضية إلى الوادي الذي يفصل حي درعا البلد عن مركز المدينة وقفوا في ذلك الوادي لبضع الوقت وكأنهم ينتظرون أمراً بالصعود إلى الحي، بدؤوا بإطلاق النار ف بداية أمرهم وكأنه إنذار بأننا قادمون إليكم، الشيخ أحمد في الجامع قال سأذهب إليهم واطلب منهم ألا يطلقوا الرصاص على المتظاهرين السلميين ذهب معه أحدهم ليقوده لأنه كفيف البصر ، وقال لمن في الجامع ابقوا ذكروا الشباب في عدم النزول إلى مركز المدينة حتى لا يطلق الأمن الرصاص عليهم ، أمسك مكبر الصوت في الجامع شيخ آخر وطلب من الشباب أن يبقوا في محيط الجامع وألا يبرحوه، ازداد صوت الرصاص وبدأت أصوات الطلقات تكثر، جاءنا خبر في الجامع ان هذا الرصاص هو صوتي لإرعاب المتظاهرين ويخلو المظاهرة بأسرع وقت ، لا ندري ما صحة هذا الخبر سوى أن رجلاً دخل علينا وأخبرنا بها، شاعت هذه الإشاعة أن الرصاص الذي يطلقه الأمن هو صوتي، بدأ صوت الرصاص يقترب شيئاً فشيئاً من الجامع، جاء رجل مسرعاً ويقول للمتظاهرين : اهربوا الرصاص حي وليس صوتي ، تتعالى التكبيرات من المتظاهرين، يقطع صوتها سيارة وعلى متنها رجل ممد وملطخ بالدماء، يقفز من السيارة رجل ويداه وملابسه قد تلطخت بالدماء يدخل إلى الجامع ويقول للشيخ الذي يتحدث في مكبرات الصوت : " يا شيخ رصاص حي يضربونا فيه ، وهذه يداي قد تلطخت بالدماء والرجل الذي أسعفناه لا ندري ماهي حالته

، ثم يصرخ بأعلى صوته في ساحة الجامع الداخلية: يا ناس حرام يضربوا رصاص حي على ناس سلميين" ثم يخرج مسرعاً.

بدأ الشيخ يقول في مكبرات الصوت : لا حول ولا قوة إلا بالله ، ويخاطب الأمن بقوله : لا تطلقوا الرصاص على الناس، الناس سلميون ، لا يحملون بأيديهم أي شيء ، الناس خرجت ببعض المطالب وتريد حقها لا تريد أكثر من ذلك بشيء ، بدأ الشباب في محيط الجامع يتراكضون وبسرعة هائلة ، نظرت من نوافذ الجامع وإذ بالمتظاهرين يهربون والرصاص يقترب اكثر فأكثر ، ذهبت إلى الشيخ الذي يتكلم في مكبر الصوت لأخبره أن الأمن يقتربون ، فقال لي : " خوذ مكبر الصوت وضعه في غرفة الإذاعة حتى نتمكن من الخروج من الجامع قبل وصولهم إليه "

دخلت إلى غرفة الإذاعة التي كانت خالية حتى من موظف الجامع وضعت المكبر ثم خرجت مع الشيخ من الجامع إلى ساحته الداخلية فوجدنا جموع الامن قد أحاطت بالجامع ، وبدؤوا بإطلاق النار على ساحته الداخلية ومن أبوابه الثلاث ، صاح الشيخ بلهجته:

" لك لا تقوصوا على الجامع هاذ بيت الله ما فيو حدا حرام عليكم"

ومع هذه الصيحة دخلوا إلى الجامع ، نظرنا من حولنا وإذ بالعشرات من الجنود يلبسون اللباس الأسود وبدؤوا بإطلاق النار في فناء الجامع ، اختبأنا وراء أحد الأعمدة تجنباً للرصاص لا اختباء منهم لأنه لا مفر من الاختباء بعد محاصرته، دخلوا إلى الجامع... ولأول مرة الجامع العمري يداس فيه سجاده الأحمر وتداس هيبته الدينية بحذاء عسكري (سوري) ، دخلوا ولم يبالوا بقداسة الجامع وضربوا فيه الرصاص ثم صاح أحدهم موجهاً كلامه إلينا : " ولا بدي شوف كلب بالجامع .... يا لله بسرعة "

خرجنا راكضين أمامهم ، خرجنا إلى ساحته وكان عدد من الجنود يضرب الرصاص إلى مأذنته الأثرية ، وعندما خرجنا من الباب ركضوا علينا مسرعين وبدؤوا ينهالون علينا بالضرب بالعصي وبأخمص البنادق في ساحة الجامع، بعد أن ضربونا ضرباً مبرحاً قال رجل من منهم :" خذوهم على السيارة "أي إلى الاعتقال.

جاء رجل آخر منهم ليعطف علينا ويقول لهم : " خلص تركوهم انضربوا يلي فيه الكفاية ".

خرجت من أحد أبواب الجامع وخرج الشيخ الذي كان معي من باب آخر ، ولم أرَ هذا الشيخ من ذلك إلى يومنا هذا ، علمت لاحقاً بعد عدة أسابيع من انطلاق المظاهرات أن الشيخ اسمه على رأس المطلوبين، خرجت من الباب باتجاه أقرب حارة مجاورة إلى الجامع ، فوجدت كافة الطرقات خالية تماماً من الناس ولا يوجد فيها سوى عناصر الأمن تجوب فيها وتطلق الرصاص بشكل عشوائي ، ولم استطع الذهاب إلى بيتي من شدة التواجد الأمني وبدأت التنقل في الأزقة والحارات لكنني لم أستطع إكمال طريقي لأنه قد أصابني حالة من الإغماء من شدة الضرب الذي تلقيته ، أسمع أصوات من نوافذ البيوت القريبة يقول أحدهم : ادخل حتى لا يروك ويطلقوا النار عليك، دخلت إلى بيت جارنا في الحارة المجاورة لحارتنا إلى أن ينسحب الأمن الذي ملأ طول الشارع الرئيسي بأقل من نصف ساعة مع إطلاق نار كثيف وعشوائي، اتصلت بأهلي وطمأنتهم عن حالي لأنهم قد أصابهم القلق الشديد حين اجتمعوا في البيت وكنت الغائب عنهم وسط إطلاق النار ، أغلقت سماعة الهاتف فجاء أحد جيراننا يقول : الحمد لله حالته جيدة لم تخترق الرصاصة قدمه ، سألته عن الأمر فقال لي : أحد المصابين في المظاهرة قد أصابته رصاصة في قدمه وحالته جيدة ، علمت وقتها أن الرصاص الذي كانوا يطلقونه هو رصاص حي كما قال الناس وكانوا يطلقونه بشكل مباشر وليس في الهواء، لم يخطر في بالي أن أحد الأشخاص من المظاهرة سيموت وكنت متخوف

من ذلك ، لأن دماءنا هي غالية علينا بدأت أصوات الرصاص تخف شيئاً فشيئاً وعلمنا أنهم ينسحبون تدريجياُ إلى مركز المدينة ، وكان الوقت قد تجاوز وقت صلاة العصر ولأول مرة في تاريخ الجامع العمري لا يرفع فيه أذان العصر ويبقى صامتاً لا شيء يعلو في سماء المدينة إلا صوت الرصاص.

إذاً كانت مدة المظاهرة من بعد صلاة الجمعة إلى بعد مساء ذلك اليوم حيث فضت قوات الأمن المظاهرة بالرصاص الحي ثم انسحبت إلى مركز المحافظة ، بدأت الناس تخرج إلى الشوارع بعد انسحاب الأمن منها ، هذا رصاصة قد اخترقت زجاج بيته، وآخر رصاص في باب بيته وعلى الجدران، ذهبت إلى البيت وأخبرتهم بما حدث ، ثم نزلنا إلى الشارع لنطمئن على جيراننا وأهلنا، الناس في الشوارع يتحدثون عن ستة شهداء من الرصاص الذي فرقوا فيه المظاهرة فلان ابن فلان .... وفلان .....، بدأت حركة الدرجات النارية والسيارات بشكل هائل وبسرعة جنونية إلى منازل من قد تصوب في المظاهرة حتى يتأكدون من إصابته أو استشهاده، الكل في المدينة منصعق من الخبر، في أول مظاهرة سلمية وبمطالب شرعية تصل إلى ستة شهداء!

بدأت الناس تطمئن عن بعض من شاع استشهاده بأنه مصاب، بقي أربعة أشخاص إصابتهم حرجة ، استشهد أحدهم ، والآخر يقال أنه استشهد من فور إطلاق النار عليه ، أما الشخصين الآخرين إصابتهم حرجة كانت، إذن تأكد الخبر أن هناك في درعا شهيدين وهم : حسام عياش ، محمود جوابرة أول شهيدين على أرض سوريا في ربوع حوران في أول أيام الثورة ١٨أذار سالت دماؤهم طاهرة في شوارع المدينة ليعلنوا بدمائهم تحولاً هاماً في تاريخ سوريا، بأن ما قبل دم أبناء حوران ليس كما بعده ، الكل يقف عاجزاً عن وصف ما حدث في أول يوم في المظاهرة حيث في أول ساعاتها يُطلق الرصاص الحي على المتظاهرين ليسقطوا شهداء على أرض الوطن وبأيدي الوطن نفسها، ما حجم استبداد وإجرام هذا

النظام الذي استبدل منذ اليوم الأول خراطيم المياه، وقوات حفظ النظام ، والغازات المسيلة للدموع بالرصاص الحي إلى صدور أبنائه ؟؟؟

هو غير مبالي بأبناء شعبه ولا بكرامتهم ولا بمطالبهم .

جاء مساء ذلك اليوم شاحباً وارتفع صوت أذان المغرب الحزين من مأذنة العمري ، وحال الناس في خوف شديد من ردة فعل النظام الذي بدأ يحشد بعناصر الأمن من دمشق، والخوف بأن يُترك أبناء درعا وحدهم في مظاهرتهم ومطلبهم للحق فيستفرد النظام بهم كما استفرد بمناطق سوريا سابقاً، لكن الأمل كان كبيراً بالنخوة السورية عامة والنخوة الحورانية خاصة ، خلت شوارع المدينة على غير عادتها في المساء وأصبحت المدينة أشبه بالخالية في طرقاتها ، والكل في بيته ويرتقب الصباح ليرى ماذا سينتج عنه ، بدأت سيارات الأمن السياسي تجوب في شوارع المدينة واستمرت في التنقل في شوارع الحي إلى وقت متأخر من الليل، لا ندري ما المقصود من التجول هذا أهو لبث الرعب في نفوس الأهالي أم لشيء آخر ؟ لا أحد يدري.

نراقب وسائل الإعلام في ذلك اليوم لم تبث أي قناة إعلامية خبر مظاهرة درعا ، وفي صباح يوم السبت استيقظت المدينة على أصوات مكبرات الصوت في مآذن مساجد درعا .....

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشهيد : حسام عياش ، والشهيد: محمود جوابرة، سوف يتم الصلاة عليهم في الجامع العمري ومن ثم سوف يشيعون إلى المقبرة– التي سميت فيما بعد مقبرة الشهداء لكثرة الشهداء الذين دُفنوا بها– مشياً على الأقدام، إذن هي نعوة غريبة وهو نداء غريب بالنسبة إلى السوريين بأن يصيح في مكبر الصوت عن شهيد وسبب استشهاده

قوات سورية ، أصبح أهل درعا على موعد من الالتقاء وهو وقت صلاة الظهر، حيث ستُقام الصلاة في الجامع العمري ومن ثم الخروج في تشييع الشهيدين.

قبيل وقت صلاة الظهر انتشرت في طرقات المدينة قوات كبيرة جداً جداً من الأمن المركزي حيث ملؤوا أغلب الشوارع الرئيسية ولاسيما محيط الجامع العمري، ومحيط مقبرة الشهداء، والطرقات التي من المفترض أن يمر فيها التشييع، والملاحظ هنا أن هذه القوات هي نفسها من أطلق الرصاص على المتظاهرين السلميين إلا أن تعزيزات وصلت إليهم من العاصمة، لكن في حين انتشارهم في الشوارع مجدداً قالوا للأهالي بأنهم ليسوا هم من أطلق الرصاص الحي بالأمس، وشعب سوريا بأكمله لا يعرف الحقد والكره للآخرين ، مجرد أن قالوا للأهالي أنهم ليسوا من أطلق الرصاص خرج إليهم أهالي حوران بالكرم والضيافة، لكنهم هم نفسهم من أطلق النار وعززوا فعلتهم وجرمهم مع من أكرمهم في نفس اليوم السبت إذ أطلقوا النار وأسقطوا العديد من الشهداء والجرحى، في ذلك اليوم عندما بقي دقائق معدودة من موعد التشييع انسحبت كامل تلك القوى لتقف في منطقة ما فاصلة بين مركز المدينة عن الحي، أذن الظهر وكان قد أحضر الأهالي الشهيدين مشياً على الأقدام إلى الجامع والتكبيرات تتوالى حتى دخلوا إلى الجامع ما إن رُفع أذان الظهر إلا وكان الأهالي قد ملؤوا الجامع وساحاته وحالة الأهالي الغاضبة لا تخفى على أحد كما هو حال الحزن، وبعد الصلاة على الشهيدين حُملا على الأكتاف مع الهتافات المنددة بالأيادي المجرمة التي قامت بالقتل، وزاد الإصرار على المطالب التي ارتقى الشهيدان وهم يطالبان فيها، جرى التشييع من الجامع العمري إلى مقبرة الشهداء مشياً وتعالت الصيحات المطالبة بمحاسبة المجرمين الذين أمروا بإطلاق الرصاص، وتعالت الهتافات المطالبة بالحرية، لا أحزاب منظمة للمظاهرة ولا إعلام قد سبقه خبر أن هناك مظاهرات فسارع في نقل الخبر، ولا قادة للمظاهرات يوجهونها من أين ستتحرك وإلى أين ستذهب ، ما يؤكد أن كل متظاهر كان في البداية هو قائد نفسه مما يؤكد أكثر فأكثر عفوية المظاهرات، مما دفع الشعب إلى الإصرار والنزول إلى الشارع في

المظاهرات المنددة بالظلم الذي لحق بها أولا والقتل الجائر الذي لحق إخوانه ثانياً، ودولتنا أشد بطشاً من غيرها في القتل في المظاهرات بمعنى لو أن هناك قادة منظمون للمظاهرة أو أحزاب تواصلت مع أشخاص من أجل التظاهر لاقتلعتهم الدولة من جذور الأرض، لكن الأمر الذي دفع الدولة حائرة تتخبط بقراراتها هو عفوية المظاهرة فتارة تستدعي وتعتقل رموزاً في المحافظة، وتارة تقتل بأفراد المظاهرة لعلها تخمدها لتتفاجأ بخروج الناس أكثر مما سبق في التظاهرات.

انطلق التشييع الذي تحول إلى مظاهرة من الجامع العمري إلى مقبرة الشهداء، وُضع الشهيدان في مرقدهما والجموع صيحاتهم تعانق السماء في التكبيرات وما أن انتهى الدفن اجتمع المشيعون هاتفين ومنددين بقتل المتظاهرين السلميين.

وقف الشيخ أحمد الصياصنة مخاطباً أهالي الشهداء ، ومخاطباً كل من له عقل ويصطف مع قتلة الشعب السوري حيث قال:

"صبراً آل عياش، صبراً آل الجوابرة – وآل عياش والجوابرة هم أهل الشهيدين محمود الجوابرة وحسام عياش- إن موعدكم الجنة بإذن الله، كم حرصنا ألّا تُراق دماؤنا على أرض الوطن إلا بأيدي أعدائنا، لقد أعددنا شبابنا ليستشهدوا على الجبهات ضد العدو الإسرائيلي لا أن يموتوا برصاص دولتهم."

والكلمة هذه للشيخ في ثاني يوم للثورة السورية في التشييع الأول لأول شهيدين في الثورة .

عندما انتهى التشيع وانتهت كلمة الشيخ مشت المظاهرة إلى الجامع العمري ومن بعد العمري قرر المتظاهرون النزول إلى مركز المحافظة لتشمل أعداداً أكبر من المشاركين، لكن الأمن المركزي كان للمظاهرة بالمرصاد فكان واقفاً في وادي الزيدي الفاصل بين درعا البلد

والمحطة، اليوم لم يبدؤوا بإطلاق الرصاص مباشرة كما فعلوا في اليوم السابق الجمعة لكن بدؤوا بإطلاق غازات مسيلة للدموع لعلها تردع المتظاهرين عن النزول إلى مركز المحافظة وتجبرهم على العودة من حيث أتوا، واستخدموا الغازات في اليوم الثاني بدلاً من الرصاص ليتجنبوا وقوع المزيد من القتلى لأن الدولة كانت في حالة تخبط شديد حيال هذا الأمر .

بدأت حالات الاختناق تُكثر في صفوف المتظاهرين ولا يوجد مشفى يُسعفون إليها، فكانت الوجهة الوحيدة للمصابين أن يذهبوا إلى الجامع العمري، لحظات من استعمال الغاز حتى يأست قوات الأمن أمام عزيمة المتظاهرين الجبارة في الاستمرار في التظاهر وإعلاء صيحة الحق في الإعلان عن مطالبهم، بدأ المتظاهرون يقتربون شيئاً فشيئاً وعندها أخذت قوات الأمن بإطلاق الرصاص عليهم لتوقف تقدمهم ومسيرهم إلى مركز المحافظة، ومع وصول أول جريح إلى الجامع العمري ملطخاً بالدماء نادى أحدهم في مأذنة الجامع أطباء المحافظة للتوجه إلى الجامع لإسعاف الجرحى، أصوات الرصاص لا تكاد تنقطع وأصوات أبواق السيارات تتعالى في المحافظة وتسير بسرعة عالية لأن معظمها تحمل الجرحى.

وصوت مأذنة الجامع العمري يعلو في سماء المدينة تارة منادياً على أدوات طبية، وتارة إلى الأطباء حيث بدا جو المدينة في تلك اللحظات أشبه بالمرعب والمخيف، ومن أشهر ما نادت به مأذنة العمري في ذلك اليوم هو النجدة من أهل حوران خاصة ومن أهل سورية عامة متمثلة بما كان يردده المنادي: " الفزعة يا أهل درعا .....إخوانكم يقتلون في الوادي – أي وادي الزيدي– الفزعة يا أهل حوران ،الفزعة يا أهل حوران، الفزعة يا ناس ....."

استمر هذا الحال المخيف في درعا لمدة ساعتين، كان حال المتظاهرين إذا ما أطلق عليهم الرصاص يختبئون وإذا توقف الأمن عن إطلاق النار أعادوا التجمع، لم يستطع المتظاهرون في ذلك اليوم النزول إلى مركز المدينة بسبب كثافة إطلاق الرصاص عليهم لكنهم

يمتلكون إرادة كبيرة بالاستمرار في التظاهر حتى تحقيق كافة مطالبهم دون التنازل عن أي مطلب منها ووضعت في مقدمة المطالب محاسبة عاطف نجيب رئيس فرع الأمن السياسي، ومحاسبة محافظ درعا كونهم كانا المسؤولين عن إزهاق دماء المتظاهرين السلميين في اليوم الأول والأيام الأولى التي تلته، حتى يوم السبت انتهى أيضاً بيوم دموي انفضت فيه المظاهرة بعدد من الجرحى وشهيد، تفاقم الأمر بارتقاء مزيد من الشهداء، استخدم الرصاص في اليوم الثاني السبت كما هو الحال في الأمس الجمعة بدلاً من تحقيق مطالب الأهالي البسيطة.

سيكون في اليوم الذي يليه تشيع للشهيد وستخرج أعداداً أكبر، حيث كان أعداد المشاركين في المظاهرات يزداد ويتضاعف في كل تشيع ومع مزيد من الشهداء.

جاء صباح الأحد ٢٠ أذار والناس على أهبة الاستعداد في الخروج لتشيع الشهيد والخروج بعدها في مظاهرة غاضبة ومنددة بالقتل والقاتل الذي أمر به.

كان المركز الذي جُعل رمزاً للثورة السورية هو الجامع العمري حيث كان في بادئ الأمر مركز للتشيع الشهداء ومنه وإليه تنطلق وتتجمع المظاهرة، وكان حال الرجل في سوريا إذا أراد أن يخرج في المظاهرة ، واقترب وقت التشييع الذي ستنطلق فيه المظاهرة ذهب إلى أهله وزوجته وودعهم وقبّل أطفاله ومن ثم يخرج إلى المظاهرة لأنه قد يخرج في المظاهرة ويُقتل بالرصاص الحي أو يُقتل قنصاً كل ذلك خلاف الدول الأخرى التي يخرج فيها الرجل إلى المظاهرة ويقول لأهله عندما أعود أريد أن أكمل الغداء أو العشاء، ظهر في اليوم الثالث من المظاهرات تلبية نداء الفزعة الذي أُطلق من مأذنة العمري حيث بدأت كل من القرى المتاخمة لمدينة درعا بالتدفق إلى المدينة للمشاركة في المظاهرات منها: النعيمة، نصيب، صيدا، داعل، طفس ، اليادودة ....الخ كان الناس يأتون من هذه القرى مشياً على الأقدام للمشاركة في المظاهرات ولدعم إخوانهم في مدينة درعا حتى أصبحت لاحقاً في كل مظاهرة يسقط فيها

شهداء من هذه القرى في مدينة درعا وكان الشهداء يُزفون إلى قراهم مما أدى ذلك إلى إشعال الحريق كاملاً في درعا.

كان المتظاهرون في اليوم الثالث أعدادهم قد تزايدت بشكل ملحوظ، حيث قُدرت بحسب ناشطين بأكثر من عشرة آلاف مشارك في ذلك اليوم، ظهر في ذلك اليوم عدة شعارات في المظاهرات منها: " الموت ولا المذلة " أي أن الشعب يفضل أن يموت على أن يُذل مرة أخرى، والشعار الآخر الأكثر جرأة كان:" يا ماهر يا جبان ابعث جنودك إلى الجولان"

وماهر هو شقيق الرئيس السوري وقائد الفرقة الرابعة شاع في بداية الأمر أنه سيوجه الفرقة الرابعة إلى درعا إن لم تكف عن المظاهرات، كان هذا الشعار الأكثر جرأة من غيره لأنه لم يكن هناك أي شعار يطالب بإسقاط الرئيس في ذلك الوقت، كل ما هنالك هي مطالب بسيطة لشعب يطلب تنفيذها وزادت تلك المطالب بمحاسبة المتسببين في القتل ومن أهمهم رئيس الفرع الأمن السياسي ابن خالة الرئيس، لكن النظام قد أصم أذنه عن تلك المطالب ولا سيما في أدق أيامها الأولى الحساسة وخاصة عندما بدأت تتشعب في المناطق السورية واستخدام النظام نفس الأسلوب القمعي في تلك المناطق.

استطاعت المظاهرة الضخمة في يومها الثالث النزول إلى مركز المحافظة لكنها لم تستطع الوصول إلى ساحة رئيسية من ساحات المحافظة لتتخذها اعتصاماً يقصدها المتظاهرون، تفاجأت بقوات الأمن قد اعتلت قناصتهم على كل المؤسسات الحكومية التي تفصل منتصف المدينة عما سواها بحيث لا تسمح لأي أحد من المتظاهرين بالتسلل إلى أي ساحة من ساحات المحافظة، وكان من ضمن تلك المباني مقر حزب البعث فيما يسمى ب" شبيبة البعث" اعتلى سطحه بعض القناصة وراحوا يطلقون النار على المتظاهرين السلميين حيث أوقعوا عدد من المتظاهرين قتلى وأكثر مناطق قتلهم في الرأس أو الرقبة أو القلب ، ساد في

أوساط المتظاهرين الغضب وأصروا على إكمال مظاهرتهم حتى تمكنوا من الوصول إلى هذا المبنى وأحرقوه لرمزيته ولاعتلاء قناصة الإجرام عليه التي قتلت عدداً من المتظاهرين.

انتهى ذلك اليوم أيضاً بيوم دموي كما سابقه، لكن النظام قام في وقت متأخر من ذلك اليوم بإحراق كل من فرع مكافحة المخدرات والقصر العدلي حيث قام الإعلام السوري بإذاعة خبر عاجل يفيد: احتراق هذين المبنيين بيد من يدعون الحرية، والخبر قد شاهدناه قبل ربع ساعة من الحريق، وبعدها تفاجأت الناس بألسنة النيران قد التهمت هذين المبنيين وفزع الأهالي لإطفائهما دون أي تدخل من قوى الإطفاء التي منعت من الذهاب إلى هناك، وفي ظل غياب أمني حكومي بعد الاحتراق، إنما قصد النظام هذين المبنيين ليقول أن المتظاهرين هم مدمنو مخدرات وملاحقين في قضايا التهريب وبأنهم مجرمون وعليهم قضايا إجرامية لذلك أقدموا على إحراق فرع مكافحة المخدرات والقصر العدلي.

جاء اليوم الذي يليه كما سبقه في ارتقاء المزيد من الشهداء بالرصاص العشوائي الذي تطلقه قوات الأمن، وطلقات القناصة التي اعتلت قناصتها أسطح المباني الحكومية، توسعت المظاهرات التي كانت محصورة في درعا البلد لتشمل كل من انخل وجاسم ونوى والصنمين في ريف درعا، وبانياس في ريف طرطوس، وأحياء من حمص، وأحياء من اللاذقية.

بدأ النظام يشعر أن الأمر بدأ يكبر وبدأ يمتد في كامل الأراضي السورية، حيث ظن أن الأمر سيبقى محصوراً في مدينة واحدة ويتم الضغط عليها بالقوة والقتل والاعتقال وينتهي الأمر وكأن شيئاً لم يكن، لكن الأمر مختلف في هذه المرة إذ أن سورية بأجمعها على شفا حفرة من الاشتعال.

بدأ النظام تلبية بعض من المطالب التي رفعت إليه من درعا، حيث أوفد إلى المدينة نائب وزير الخارجية ومن ثم نائب الرئيس- وكلاهما من أبناء درعا – لتهدئة المدينة والنظر في

المطالب الأخرى، قرروا زيارة أهل الشهداء الذين سقطوا في المظاهرات، وخصصوا لكل عائلة من العوائل مبلغاً وقدره مليون ليرة سورية كتعويض عن الشهيد الذي فقدوه.

إلى هذه الدرجة من الاستهزاء والسخرية واللامبالاة بدماء الناس يقتل منهم ويدفع المال عوضاً، وكأن الأنفس تُباع وتُشترى!

عدد كبير من الأهالي رفضوا استلام أي مبلغ من المال كما ورفضوا عن أي موافقة عن التوقف في التظاهر حتى تحقيق كامل المطالب، ثم بعد ذلك استجاب النظام لبعض المطالب التي وضعها أهل حوران، وأهمها: إخراج المعتقلين من الأطفال الذين كتبوا على الجدران بالشعارات المناهضة للنظام، خرج الأطفال من السجون لكن انصعق جميع أهل درعا بما حل للأطفال...

جميع الأطفال قد أُقتلعت أظفارهم وظهرت آثار التعذيب الوحشي على أجسادهم الصغيرة ، ذلك الأمر زاد الأهالي غضباً من تهدئتها

صحيح أنها تحققت المطالب الصغيرة لكنها قد تأجلت المطالب الأخرى والوقت كان لا يسمح بتأجيل أي من تلك المطالب وذلك هو الأمر الذي أوصله الناس لمن له علاقة في النظام وكانوا في كل مرة يسمعون أن الدولة ليست برب العالمين حتى تقول لشيء كن فيكون، كل إصلاح أو مطلب سيوضع على المناقشة ومن ثم يأتي القرار بالموافقة أو عدمها كان رد المحافظة لأحد الوفود إليها، ونسي المحافظ أنه في وقت سابق وقريب قد قال لعناصر الجيش الفرقة الرابعة "كن" حواجز عسكرية حول المحافظة ، " فكانت" في أقل من أربع وعشرين ساعة، هذا ما تعودنا عليه من حكومتنا من خلال معالجة الأمور السياسية الطارئة بأنها تحتاج إلى تمهل وتردد، بينما قرار قمعي عسكري أو أمني ينفذونه بكلمة كن فيكون القتل والإرهاب والاعتقال.

عادت المظاهرات في الخروج وبغضب أكثر من قبل وطالبت بمحاسبة رأس الشيطان في المحافظة رئيس فرع أمنها السياسي ومحافظها، والنظام يتمهل في محاسبتهم أو حتى عزلهم.

وفي يوم الثلاثاء ٢٢ أذار خرجت مظاهرة حاشدة في محيط الجامع العمري –فالجامع قد أصبح رمزاً للمظاهرات وبالتالي أصبح رمزاً للثورة ، فقد كانت ساحته الداخلية وأروقته عبارة عن ما يشبه المشافي الميدانية احتوت على أسطوانات غاز لمعالجة المصابين بغازات النظام، وبعض الأدوية لمعالجة الجرحى الذين يصابون في المظاهرات- .

وفي مساء ذلك اليوم عند غروب الشمس توجهت أعداد كبيرة من الحافلات التي تنقل الأمن المركزي لاقتحام الجامع العمري، أخذت مأذنة الجامع العمري تصدح بنداءات الفزعة: الفزعة يا أهل حوران ، الفزعة يا أهل درعا الأمن قادم لاقتحام الجامع.

وخرجت أعداد كبيرة من الناس من بيوتهم حيث ملؤوا الطرقات والأزقة متراكضين باتجاه الجامع ، حتى أصبح الجامع وساحاته يعج بالناس في أقل من خمس دقائق، وجد الأمن أعداداً كبيرة من الناس فعاد أدراجه منسحباً دون الاحتكاك بأي أحد، أما المتظاهرون قرروا البقاء في محيط الجامع خوفاً أن يعاود الأمن الاقتحام حيث صلوا المغرب في الجامع وبقوا حتى صلاة العشاء، وقف منادٍ من الناس ودعاهم إلى الاعتصام في محيط الجامع، فأخذوا بنصب الخيم في ساحته الخارجية حتى لا يتركوا الجامع وساحاته خالية من المتظاهرين، وهذا ما يزعج النظام .

بُنيت الخيم في محيط الجامع ووضعت على أبوابها بعض من الشعارات التي نادى بها المحتجون في أول يوم ومنها:

(الموت ولا المذلة)،(خائن الذي يقتل شعبه).

استمر الاعتصام بعد صلاة العشاء بأعداد كبيرة وكان بسيطاً جداً خالياً من مكبرات الصوت كل ما هنالك هي شعارات يرددها المحتجون، لكنه أول اعتصام في سورية، أُطلق على ساحة العمري الجنوبية (ساحة الكرامة)، بدأ العدد يتناقص في ساعات الليل الأخيرة حتى استقر إلى ما يقارب خمسمئة شخص.

كسر سكون الليل- في تمام الساعة الواحدة والنصف- أصوات رصاص كثيف التي أفزعت الأهالي لأول مرة في المدينة، فزع أهالي درعا من نومهم على بكاء الأطفال من صوت الرصاص الكثيف الذي يدوي في سماء المدينة ، والذي لم يتعودوا عليه ولم يسمعوه في حياتهم، وازداد الخوف عند الأهالي عندما قُطعت الكهرباء في نفس الوقت الذي بدأ فيه بإطلاق النار، إلا أن الجامع العمري كان يحوي مولداً للكهرباء وبدأت مأذنته بالاستنجاد والتكبير.

كانت قوات الأمن المركزي قد استقدمت أعداداً كبيرة لتنفذ اقتحاماً للجامع من جميع محاوره، كانت الليلة مرعبة حيث سكون الليل تقطعه أصوات الرصاص الكثيف وصوت المأذنة الذي عمَّ أرجاء مدينة درعا، بدأت الحارات المحيطة بالجامع تُغلق الطرق بالحجارة لتمنع تقدم القوات الأمنية إلى الجامع، وخرج عدد من الشباب إلى الحارات القريبة منه وبدؤوا بإلقاء الحجارة على حافلات الأمن، استشهد عدد من الشباب الذين حاولوا أن يمنعوا قوات الأمن من التقدم إلى الجامع، ولكن القوات تقدمت إلى الجامع وتمكنت من الوصول إليه بعد استخدام القوة المفرط، حيث أقامت عليه طوقاً وكان المعتصمون فيه، تمكن عدد منهم من الهروب إلى البيوت المجاورة وبقي البعض الآخر محصوراً في الجامع، كان أول من لبى نداء مأذنة الجامع وهرع إلى إسعاف الجرحى طبيب مختص في المشفى الوطني للمدينة مع أن الأوامر كانت قد وُجهت إلى الأطباء بعدم ذهاب أي طاقم إسعاف إلى الجامع، وبعدم استقبال أي حالة من حالات الجرحى في المظاهرات.

لم يستطع هذا الطبيب أن يسمع صيحات أبناء بلده وإخوانه يستنجدون ويصرخون وهو جالس في المشفى، ركب في سيارة الإسعاف وسارع إلى الجامع العمري لإجلاء الجرحى منه، وعند وصوله إلى الجامع كانت قوات الأمن متواجدة هناك، حيث أطلقوا عليه الرصاص وأردوه شهيداً على الأرض، الشهيد الطبيب هو علي غصاب المحاميد وهو أول شهيد طبيب في الثورة.

خرج التلفزيون السوري في اليوم التالي ليقول أن عصابات إرهابية هي من قتلت الطبيب، ولو كان هناك إرهابيون يملكون سلاحاً ويقتلون ، لسمعت على التلفزيون نفسه أن هناك قتلى من عناصر الأمن لا طبيب جاء ليسعف إخوانه الذين قتلهم عناصر الأمن ، وطلب الأهالي لاحقاً بتسمية المشفى الوطني باسم الشهيد لكنه قُوبل بالرفض.

عند انتشار قوات الأمن كان أحد المعتصمين قد أُصيب بطلق ناري على مقربة من الجامع العمري عند مبنى البريد، فركض إليه بعض من رجال الأمن وسارعوا في سحبه حتى وضعوه في السيارة وذهبوا به إلى المشفى الوطني وهو جريح ليس من أجل علاجه بل ألقوه في براد الموتى وهو حي وأغلقوا عليه حتى تجمد واستشهد داخل البراد، وجد الاطباء في المكان الذي وضع فيه عبارة كان قد كتبها بدمه : " وضعوني في البراد وأنا عايش، وسلامي لأمي."

فقام أحد الاطباء بتصوير هذه العبارة لتنتشر بعدها على صفحات الإنترنت، هذا هو تعامل القوات الأمنية في أيام الثورة الأولى حتى أصبحنا نشك أنهم بشر أو من بني الإنسان من شدة إجرامهم وتفننهم بأساليب القتل.

أما صوت مأذنة العمري بقي الرجل يصيح فيها وهو على علم أن الأمن قد فرض طوقاً في محيط الجامع، علم أنه لا مفر من الجامع فكان لابد له أن يستشهد في الجامع، ونحن نسمع صوت المنادي في المأذنة قد تغيرت نبرة صوته ، وأصبح مستنجداً: يا لله، ويقول:

" يا الله نحن في بيتك ويريدون أن يقتلوننا في بيتك يا لله."

استمر في المناجاة حتى دخلوا عليه وسمعنا أصوات طلقات من الرصاص قد خرج صوت إطلاقهن في المأذنة وصاح بعد هذه الطلقات : آآآآآه

علمنا أنهم اقتحموا الجامع وقتلوا الرجل الذي ينادي في مكبر الصوت، بدأ صوت الرصاص يقل شيئاً فشيئاُ حتى توقف ما قبل صلاة الفجر بساعة.

العمري مغلق... والطرقات التي تحيط به جميعها مغلقة بالانتشار الأمني الذي امتد على طول الطرق الرئيسية المحيطة به ، بعد ذلك حان وقت أذان الفجر لم يُؤذّن أي مسجد من المساجد المحيطة بأحياء العمري لأن القنص من القوات الأمنية كان يقطع كافة الطرق ، مازال مصير كل شيء غامضاً طلع الفجر على أهل درعا حزيناً وتأكدنا أنهم ما يزالون في الشوارع وقد فرضوا على المنطقة أشبه بحظر للتجول ، في صباح ذلك اليوم أرسلت أم ابنها الصغير إلى السوق ليشتري لها بعض البضائع على أمل أن الأمن انسحب في الليلة نفسها، خرج الصغير من باب بيته فوجد الشارع قد امتلأ بالجنود المدججين بالسلاح، ولا يوجد في هذا الشارع أي من المحال التجارية مفتوحة وخلت الطرقات من المارة ، صرخ به أحد الجنود القريبين إليه بأن يذهب إلى البيت، عاد الطفل مسرعاً إلى أمه ويقول لها : يهود .... يهود....، غاب عن ذهن الأم القوات الأمنية ، فقالت له : أين هم اليهود ، يجيب الطفل: اليهود قد ملؤوا الشارع وقد طردوني إلى البيت.

تعود الطفل ألا يرى السلاح في الشوارع وألا يكون موجهاً إلى الناس العزل إلا في شاشات التلفزة في فلسطين، تعود الطفل أن يرى جنوداً قد أُنتزعت من قلوبهم الرحمة في شوارع فلسطين والجنود يسموهم باليهود، أما هذه المرة رآهم في شارعه في نفس الصورة التي كان يراها في التلفاز وفي نفس الوحشية، لم يتبادر إلى ذهن الصغير آنذاك أن اليهود هذه

المرة اختلفت صورهم واختلفت ألسنتهم، لكن جدير بأسبوع واحد فقط من عمر الثورة بأن عرف الطفل وغير الطفل بأنهم أشد إجراماً من اليهود.

كان صباح ذلك اليوم الذي جاء فيه اقتحام العمري هو الأربعاء في٢٣أذار٢٠١١م، وسورية بأجمعها قد علمت بالأمر الذي حل في درعا ومجزرتها في الجامع العمري ، كانت الشوارع خالية في صباح ذلك اليوم ، لكن الناس لديهم شهداء غير الشهداء الذين أخذتهم القوات الامنية ووضعتهم في برادات المشفى، خرج الأهالي كل منهم على حدا، أي كل شهيد خرج معه أقرباؤه وسلكوا أبعد الطرق كي يبتعدوا عن الطرق المتواجد فيها الأمن حتى تمكنوا من الوصول إلى مقبرة الشهداء جنوب الحي وتمكنوا من دفن الشهداء، تجمعوا في المقبرة وقرروا بأن يعودوا بمظاهرة إلى الجامع العمري، وبدؤوا بالهتاف والتكبيرات وسلكوا الطريق المتوجه إلى العمري متحدين السلطة والقبضة الأمنية رغم بطشهم وقتلهم، ومتحدين الخناق الذي فرضوه على الناسفي البيوت، لم تتورع قوات الأمن عن إطلاق الرصاص عليهم مرة أخرى لكن هذه المرة أكثر جنوناً حيث أطلقت الرصاص العشوائي من بنادقهم، والقناصون قد اعتلوا أسطح المباني، وراحت قوات الأمن تلحق المتظاهرين لعلها تلقي القبض على بعضهم، لكن للأسف مجدداً يسقط شهداء من المتظاهرين ببطش هذه الزمرة الطاغية المجرمة التي لم تراعِ أي حرمة للدم وكرامة أهل الشهيد.

هذا ما كان في درعاالبلد في ذلك اليوم كونها الموقع الذي جرت فيه هذه الأحداث المؤلمة، لكن هناك في محافظة درعا وبالتحديد في ريفها موقف بطولي يجري في نفس الوقت، الذي كانت فيه قوات الأمن تطلق الرصاص على المتظاهرين وتلاحقهم في المدينة، حيث خرج في الصباح الباكر من يوم الأربعاء – بعدما علم الجميع بمجزرة العمري – عدد من الشباب في مدينة الحراك (وهي إحدى مدن ريف درعا)يجوبون في الشوارع ويصيحون: الفزعة لأهل درعا ، وعلمتُ بأن الشباب في أول خروجهم كان عددهم سبعة أفراد، وبدؤوا يتنقلون

في شوارع الحراك وينادون الناس لنجدة أهل درعا، تجمع الشباب تلبية للنداء وعندما أصبح عددهم لا بأس به قرروا الذهاب إلى القرية المجاورة، وتوجهوا من الحراك إلى علما البلدة المحاذية ومشوا في شوارعها كما فعلوا في بلدتهم، وراح هتافهم يعانق السماء كما نجحوا في جمع الشباب فأينما توجهت المظاهرة في حارة من حارات البلدة إلا وكل من رآها وسمعها شارك فيها، قرروا في النهاية أن يتجهوا إلى مدينة درعا مشياً على الأقدام لفك الحصار الأمني عنها ودعمهم معنوياً،وراحوا يتنقلون من بلدة إلى أخرى وأعداد المتظاهرين تتزايد حتى وصلوا إلى مدخل مدينة درعا، ويتوجب عليهم أن يقطعوا مركز المدينة بما فيه من أفرع أمنية مختلفة حتى يصلوا إلى درعا البلد.

وجدوا شوارع المدينة خالية من الناس وحتى من الأمن، وما إن وصل المتظاهرون إلى منتصف الطريق وتحديداً قرب مقر الجيش الشعبي حتى بدأ الرصاص ينهال عليهم بغزارة من داخل المقر ومن أسطح الأبنية الحكومية المتمركز عليها القناصة، حيث سقط أعداد كبيرة من الشهداء وسُميت تلك المجزرة باسم:

(مجزرة الكازية) لوجود محطة للوقود في ذلك الموقع، كانت تلك المجزرة مروعة جداً سقط خلالها عدد كبير من الجرحى والشهداء، يقول مدير المشفى الوطني لمدينة درعا: تلقيت ٢٥جثة سقطوا في مجزرة الكازية، وكان سبب وفاة أكثرهم قنص في الرقبة أو الرأس أو القلب، ومن حكمته تعالى في ذلك اليوم توزع الشهداء في قرى المحافظة، حيث استقبلت كل بلدة شهيداً أو شهيدين لأن المظاهرة قد جُمعت من غالبية الريف الشرقي

عندما عاد الناس كل منهم إلى بلدته ومعهم شهيد او شهيدين زاد الغضب في تلك البلدات مما جعل المتردد فيها يشارك في أقرب مظاهرة آتية ذلك ما حدث في ريف درعا الشرقي، أما ريفها الغربي قد جاءت مظاهرات في كل من إنخل وجاسم والصنمين ونوى وتسيل وطفس وداعل واليادودة ....، كان ذلك اليوم من الأيام الأولى الأكثر دموية،

وأطلق أهل حوران على شهداء ذلك اليوم (شهداء الفزعة)، لأنهم استشهدوا وهم ملبيين نداء الفزعة من العمري.

الأمن مازال منتشراً في شوارع درعا ، وما زالت الحركة معدومة في شوارعها ، الكل يتساءل إلى متى؟ وماذا سيفعلون؟ وهل سيلغون صلاة الجمعة وتُحرم درعا منها منذ عقود طويلة؟

لا أحد يدري، الكل في بيته وخاصة المناطق المحيطة في الجامع العمري، في مساء ذلك اليوم الأربعاء علمنا أن سيارات الأمن قد جاءت إلى منزل الشيخ أحمد الصياصنة وأخذته من بيته إلى دمشق لمقابلة كبار المسؤولين هناك لاطلاعهم على الأمور كما هي، ولتلبية كافة مطالب أهل درعا ، وذلك ما أكدته مستشارة الرئيس حين خرجت مساء يوم الخميس وأعلنت جملة من القرارات منها رفع رواتب الموظفين، وفيما يتعلق بالمطالب الجوهرية لأهل درعا كإقالة المحافظ ورئيس فرع الأمن السياسي لا يُعلن عن مثل هذه الأمور، وستتشكل لجان للبحث في المطالب الأخرى ، أعلن بعد ذلك التلفزيون السوري انسحاب الأمن من محيط الجامع العمري قبل انسحابه الفعلي، بعدما أخرج على شاشته ذخائر وأسلحة وجدت في الجامع مع مبالغ من الأموال السورية، وقال التلفزيون السوري أنها دخلت من الأردن ، وقد كُتب على صناديق الذخائر وزارة الدفاع السورية.....، تعودنا على كذب وافتراء الإعلام السوري والقنوات الإعلامية الأخرى التابعة للنظام ، لم يكن السلاح قد دخل على المظاهرات في أسابيع المظاهرات الأولى وكانت المظاهرات في أعلى مظاهر السلمية، ولم يكن مطلب إسقاط النظام مرفوعاً في ذلك الأسبوع أيضاً، كل ما هنالك هي مطالب وصفها النظام نفسه بالمحقة.

بعدما أعلن التلفزيون السوري انسحاب الأمن من الجامع العمري كانت جموعهم لا تزال في الشوارع ، لكن دقائق حتى بدأت مجموعاتهم تتجه إلى الجامع ، وبدأت الناس تتناقل خبر

أن الأمن يركب الحافلات وينسحب من الجامع العمري، عندما خلت المنطقة من التواجد الأمني هرع الناس متراكضين إلى الجامع، أما ساحة الكرامة جنوبي الجامع التي كان المتظاهرون قد اعتصموا فيها قد أُحرقت الخيم فيها، ومُزقت الشعارات التي عُلقت على أطرافها ، وقاموا بحرق كل شيء متواجد في هذه الساحة، صاح أحدهم ممن دخل إلى الجامع : " شوفوا يا ناس فوتوا وشوفوا شو عملوا ببيت الله."

بدأت الناس تتراكض إلى الجامع، وقسم قليل يخرج منه ويقولون : لا حول ولا قوة إلا بالله .

دخلنا من الباب الغربي للجامع فوجدنا بقع الدم على مقربة من الباب، وفيما يبدو وبشهادة المنازل القريبة من هذا الباب أنهم سمعوا صراخاً على مقربة هذا الباب تبين بأنهم قتلوا أحد المعتصمين عند هذا الباب عند محاولته الخروج من الجامع في ليلة فض الاعتصام ، ووجدنا قسم من ساحة الجامع الداخلية الذي كان قد خُصص لإسعاف الجرحى والمصابين في المظاهرات قد نُهب بشكل كامل، وكان قد ظهر أحد عناصر الأمن في مقطع مسرب له وهو يصيح داخل هذه الساحة : " قتلناهم كلهم " والجنود في الساحة يهتفون :" الله .... وسورية ... وبشار وبس" و " بالروح بالدم نفديك يابشار."

في رواق الجامع الغربي قد خُصص فيه غرف لتحفيظ القرآن الكريم وسمي بمعهد الأسد، دخلنا إلى هذا المعهد فوجدناه قد كُسر زجاجه ومُزقت المصاحف فيه ووجدنا زجاجات الخمر الفارغة في غرف ذلك المعهد وتركوا كتاباتهم على الجدران، ويتحدث الناس أنهم رؤوا كتابات باللغة الفارسية حتى شاع تدخل الإيرانيين وحزب الله في الثورة السورية منذ أيامها الأولى لذلك خرج شعار في المظاهرات : (لا إيران ولا حزب الله بدنا واحد يخاف الله). كل ذلك إن لم يكن ثابت في بدايات الثورة فقد ثبت لاحقاً تدخل الإيرانيين وحزب الله بشكل واضح وعلني.

ازداد غضب الأهالي بعد خروج الأمن ولاسيما عند خروج الأمن وُجدت بعض الجثث التي لم يستطع أحد الوصول إليها حتى انسحاب القوى الأمنية، فنحن على موعد جديد من يوم جديد من تشييع الشهداء ألا وهو يوم الجمعة (ثاني يوم جمعة من الثورة) ٢٥ أذار ٢٠١١ حيث سُميت تلك الجمعة بجمعة العزة، جاءت أعداد كبيرة جداً من القرى المحيطة لمدينة درعا فقد كان الجميع على موعد للتظاهر في يوم الجمعة ولا سيما بعد اقتحام العمري.

رأى أهل القرى أنه لابد من مساندة أهل درعا والوقوف معهم، لذلك بدؤوا يتدفقون إلى المدينة في صباح الجمعة على شكل جماعات متفرقة حتى كثُر العدد عند وقت الصلاة، حيث تفاجأنا بالعدد الكبير الذي حضر، امتلأت ساحات الجامع الداخلية وبدأ الناس يفترشون ساحاته الخارجية (ساحة الكرمة الجنوبية ، والساحة الشمالية) حتى امتلأت الساحتان وامتدت جموع البشر على طول الشارع الرئيسي.

خطب الشيخ أحمد صياصنة بالناس وتحدث عن مأساة اقتحام الجامع العمري، وترحم على أرواح الشهداء الذين سقطوا في محيط الجامع وداخله، وترحم على روح الشهيد المجند(من بلدة تلكلخ) الذي أعدمته قوات الأمن بعدما رفض الانصياع للأوامر بإطلاق النار، وكانت أصوات التكبيرات تهز الأرض من كثرة الجموع المتواجدة وحرقتهم على ما حل في المدينة.

انتهت الخطبة وشُيع ثلاثة شهداء من الجامع العمري في موكب تحول إلى مظاهرة كبيرة جداً، شملت متظاهرين من كامل ريف درعا تقريباً ، وصلت بداية المظاهرة إلى مقبرة الشهداء ولا يزال آخر المظاهرة على مقربة من الجامع العمري لكثرة الجمع المحتشد آنذاك، وتُقدر المسافة التي امتلأت بالجموع البشرية ما بين العمري ومقبرة الشهداء ١،٥كم، قدر الناشطون هذه الأعداد الضخمة بعشرين ألف والعدد يفوق ذلك بكثير، هتف المتظاهرون خلالها إلى

جانب الهتافات المعتادة بهتاف جديد من نوعه جاء رداً على بثينة شعبان مستشارة الرئيس التي أعلنت رفع الرواتب للسوريين، فجاء الشعار بأن ثورة الشعب هي ثورة كرامة وليست ثورة جياع، فكان الهتاف:

" يا بثينة يا شعبان شعب درعا مو جوعان " وإلى جانبه شعار

" يا ماهر يا جبان ابعث رجالك على الجولان" الذي يندد بمشاركة القوات الخاصة بقيادة شقيق الرئيس بقمع المظاهرات، وإلى الآن هو الأسبوع الأول من الثورة ولا يوجد أي مطلب بإسقاط النظام ولا أحد يهتف بذلك، انتهى المشيعون من دفن الشهداء ثم عادوا بمظاهرتهم الحاشدة إلى الجامع العمري، ومن ثم قرروا أن يذهبوا إلى مركز المحافظة بأعدادهم الضخمة ليقيموا من هناك اعتصاماً كونها مركز المحافظة ومكان تواجد الدوائر الحومية، تمكن المتظاهرون من الوصول إلى مركز المدينة وانضم إليها أعداداً ضخمة من القرى المحيطة كانت قد وصلت متأخرة عن وقت التشييع، أما القوات الأمنية فلم تقف هذه المرة سداً مانعاً أمام المظاهرات لأنه قد أُعطيت وعوداً للشيخ أحمد بأن لا يعترض الأمن المتظاهرين السلميين، احتشد المتظاهرون في الساحة الرئيسية في المحافظة أمام منزل المحافظ الذي لم يكن متواجد في منزله لأنه قد استقر في مبنى المحافظة، المتظاهرون في الساحة يهتفون بهتافات الثورة البسيطة، والأعداد تتزايد وخاصة بعد وصول الأخبار أن المظاهرة كبيرة جداً في ساحة المحافظة.

وصل إلى المتظاهرين في الساحة خبر مجزرة أهل الصنمين حينما حاولوا الوصول إلى مركز مدينة درعا فوجدوا الأمن حائلاً دون ذلك، وأمطرهم بوابل من الرصاص بشكل مباشر حتى راح ضحيتها أكثر من عشرة شهداء.

لم يعد أحد في ساحة الاعتصام يتمالك نفسه بعدما سمع الخبر، توجه قسم من الشباب إلى صورة الرئيس الكبيرة الموجودة ومزقوها ومن ثم أحرقوها، وتوجه قسم آخر إلى تمثال الأسد الأب الموجود في قلب هذه الساحة (وهو عبارة عن مجسم كامل لحافظ الأسد يحيي فيه الشعب) توجه إليه الشباب وصعدوا إلى المنصة التي وضع عليها التمثال وبدؤوا ينهالون عليه بالضرب، تارة يضربونه بالحجارة وتارة بأسياخ الحديد حتى مال التمثال وراحوا يهزون فيه حتى سقط التمثال، ومن ثم جروا رأس التمثال (الذي هو رأس حافظ الأسد) في شوارع المحافظة وباقي قطع التمثال بقيت على الأرض، لكن انهال على المتظاهرين كميات كبيرة من الرصاص الحي كردة فعل من الأجهزة الأمنية تجاه رئيسهم المنحوت، بدأ الشباب في الفرار من الساحة وسحبوا الجرحى والقتلى من الساحة ، راح ضحية هذه الحادثة أكثر من عشرين شهيداً وعشرات الجرحى متوزعين على ريف درعا بالكامل.

تصرف النظام كهذا التصرف في كافة المحافظات التي أسقطوا فيها التماثيل، أصبحنا عندما نسمع أن تمثالاً سقط في محافظة معينة نسمع بجانبه عشرات الشهداء والجرحى، وهذا ما حدث في الرستن في حمص وغيرها من المحافظات التي أسقطت التماثيل، علمنا ردة فعل أحد الضباط على سقوط تماثيل حافظ الأسد بأننا سنسقط مآذن الجوامع بدلاً من التماثيل، وذلك ما كان من مئذنة العمري وكافة مآذن جوامع سورية.

الكل يسأل الشباب وهي تركض من ساحة الاعتصام، ما الذي حدث؟ فيكون الجواب أننا أسقطنا تمثال حافظ الأسد.

يدخل الرجل إلى بيته ويغلق الباب وآخر يغلق النوافذ، لأنه شيء مستغرب ومرعب وهو خارق للعادة أن يسقط التمثال، ذلك التمثال الذي لايزال واقفاً منذ أكثر من ثلاثين سنة ولا أحد يستطيع أن ينظر إليه إذا مر بجانبه، أيسقط التمثال ؟

وفي مظاهرة مناهضة للنظام ! ؟

كانت الناس تخشى حافظ الأسد حتى وهو في قبره.

انتهت تلك الحادثة بعد العصر وبقي اليوم كله أشبه بحظر تجول وكل الناس في بيوتهم، ويتوقعون عواقب وخيمة لهذه الحادثة التي هزت المجتمع السوري من جنوبه إلى شماله ومن شرقه إلى غربه، وتعتبر هذه الجمعة المفصلية من عمر الثورة لأنها لم تبق درعا البلد وحدها في المظاهرات المناهضة للاستبداد والمطالبة بالحرية، كما كانت درعا مكبوتة بالظلم ومحرومة من حقوقها أيضاً كثير من المناطق والمحافظات في سوريا كانت من حقوقها فكان لابد لها أن تطالب بها، وذلك ما حدث في ذلك اليوم توسعت المظاهرات خارج نطاق درعا وانضمت العديد من المحافظات إلى المظاهرات، كان دافع الناس من النزول إلى الشارع بغضب وهو نخوة السوريين ومحبتهم فيما بعض قبل أي المطالبة بحق من حقوق المنطقة، هان على المرء في سوريا أن يُقتل أخاه في درعا ويبقى صامتاً في محافظته ويصلي الجمعة ويرجع إلى بيته ليشاهد ما يحدث في درعا من وراء شاشات التلفاز، لا بل نزل الشارع السوري بعد كل صلاة جمعة وكان أول هتافهم : " بالروح بالدم نفديك يا درعا" وهذا ما كان في جامع الحسن في الميدان وفي كفرسوسة، وخرجت مظاهرة ضخمة في دوما قُدرت خمسين ألف متظاهر في أول مظاهرة لها، وشاركها الريف الدمشقي خاصة في داريا والمعضمية، وكانت حمص على موعد أيضاً من تلك المظاهرات حيث خرج المتظاهرون في حي باب السباع، أما في اللاذقية نحن نعلم ما عاناه أهلنا في اللاذقية من بطش النظام وخاصة فرق الشبيحة المجرمة التابعة للنظام(هي عبارة عن مجموعة من العصابات يتخذها مسؤول من المسؤولين لتكون حرس له، ويعطيهم الضوء الأخضر في أي شيء ينفذوه) هكذا اتخذ أكثر من مسؤول عصبة له أشرفوا على تمويلهم وتسليحهم وعدم مساءلتهم فيما يقدمون عليه من عمل، لأنه لا يوجد أحد يجرؤ على مساءلة شخص يعمل لدى فلان الأسد لأنه سيعاقب ويُفصل من وظيفته إن

أقدم أحد على مثل هذا الفعل، فقد قرر شرطي مرور مخالفة سير لأحد من الشبيحة لأنه قطع إشارة المرور فما كان من الشرطي إلا أن أُعتقل وأُهين بالضرب ومن ثم فُصل من عمله، والأمثلة بذلك كثير، وهذه الشبيحة كانت ذا طابع طائفي وعندما خرجت أول مظاهرة في اللاذقية في جامع الرحمن حي الصليبة راحوا ينكلون بالمتظاهرين أشد التنكيل، وهددوا بحرق الحي كاملاً، واستمر الشبيحة فيه بقتل المتظاهرين يوماً بعد يوم حتى استلم الأمن والجيش مهمة قمع المظاهرات، وحدث ذلك أيضاً في مدينة بانياس التي خرجت فيها مظاهرات أيضاً ليعلنوا تضامنهم مع درعا وطالبوا الأسد بالإصلاح اللازم الذي لطالما وعد به.

انتهى يوم الجمعة بعدد من الشهداء غير مسبوق له في تاريخ سورية الحديث، وما ميّز ذلك اليوم هو توسع المظاهرات كماً وعدداً، حيث ازداد عدد المتظاهرين في مدينة درعا، وازدادت المناطق في أنحاء سورية لتعلن بذلك اليوم أن الأمر ليس محصوراً في درعا، ولم تُترك المدينة وحدها تواجه الظلم وجبروت الأسد وحدها، سقط شهداء في معظم المناطق التي نزلت إلى الشارع، وعندما يسقط الشهيد في منطقة ما فذلك إعلان بأن المنطقة قد انخرطت في الثورة ضد قاتله ولم تسكت عن دم شهديها.

وهذا ما أكده يوم السبت عندما خرجت الجموع في تشييع جثامين الشهداء الذين استشهدوا يوم الجمعة ، والتشيع يتحول إلى مظاهرة غاضبة منددة بالقتل وبالمجرمين الذين أقدموا على فعل ذلك بدم بارد، والنظام في ذلك لا يراعي أي احترام للشهيد.

فكان في كل تشيع يقوم يعتلي القناصة على الأسطح العالية مع قوات أمنية في الشوارع تكون حامية لهذه القناصة، وعندما يتجمع الأهالي يباشر الأمن بإطلاق النار إما قنصاً، أو بالبنادق المنتشرة في الشوارع، ليحدث بذلك في سورية بأن الشهيد يشيع شهيداً، وهذا ما حدث في أغلب مناطق السورية ، ومنها مدينة طفس في ريف درعا حيث انتهى الأهالي من تشييع الشهداء الذين استشهدوا في مدينة درعا، وسارت المظاهرة في شوارع البلدة ليطلق

عليها القناصة الرصاص من فوق سطح مخفر المدينة ، ليتجمع حوله الأهالي الغاضبين ويرمونه بالحجارة ومن ثم يتمكنون من حرقه بعد هروب عناصر الأمن منه والقناصة، وهذا ما أعلنته مستشارة الرئيس أن مخربين قاموا بحرق المخفر ما يدل أن مطلبهم التخريب لا مطالب محقة، وتناست ما كان يفعله قناصة نظامها من على سطح هذا المخفر.

رغم ذلك وبعدما هرب الأمن القاتل منه، وبعد احتراقه قام الأهالي بعد عدة أيام بجمع مبلغ من المال من أبناء البلدة وإعادة صيانته وترميمه، على أن يكون مخفراً للشرطة مكافحاً للصوص، لا مقراً لقتل الناس الذين هم بنوه، ولأن النظام لا يعرف لغة إلا القتل اتخذ من ذلك المخفر حاجزاً أساسياً مهمته إذلال الناس وترويعهم.

وكذلك الأمر في مدينة درعا كما في غيرها من المدن ، حيث شيعت شهداء الجمعة يوم السبت ليسقط شهداء السبت أيضاً ، وقد وصلنا في مدينة درعا أنّ الشبيحة قتلوا ما يقارب اثني عشر متظاهراً في اللاذقية في حي صليبة، لتخرج مظاهرات غاضبة ومنددة في درعا بقتل الأسد للمتظاهرين السلميين ففي كل تشييع لأحد الشهداء يعاود المتظاهرون بإصرار للتظاهر في ساحة العمري التي أُطلق عليها ساحة الكرامة يؤكدون فيها صمودهم وتضامنهم مع بقية المحافظات والمدن السورية.

في يوم الثلاثاء ٢٩أذار دعا التلفزيون السوري إلى مسيرات مؤيدة للنظام ورأسه بشار الأسد، ونحن من يعرف كيف يدعو النظام إلى مسيرات مؤيدة له ولسياسته، حيث تقوم كافة المؤسسات الحكومية بإجراء تفقد للموظفين في ذلك اليوم المقرر، ومن غاب في ذلك اليوم سيتعرض للمساءلة، وهذه المؤسسات(مدارس ، مشافي.....) تضم غالبية فئات الشعب، حيث لا يجد الموظف في بداية الأمر إلا وإن يخرج في المسيرة مكرهاً، وهذا الأمر حدث في سورية في أول مسيرة دعا إليها النظام، أما لاحقاً في المسيرات الأخرى تجرّأ الكثير ولم يخرجوا فيها لأنها داعمة للقتل والقاتل حتى ولو تعرضوا إلى المساءلة أو إلى الفصل النهائي

من الوظيفة، والكثير الكثير قد فُصلوا من وظائفهم لعدم خروجهم في تلك المسيرات، والمسيرات المؤيدة لا تخرج عندنا في سوريا إلا قبل تصرف ستقوم به الدولة، وغالباً خطاب رئاسي أو زيادة رواتب الموظفين..

وذلك ما حدث أخرج النظام في يوم الثلاثاء مسيرات، وكان التركيز على عاصمة سوريا (دمشق) وعاصمتها الاقتصادية حلب، نظراً للكثافة السكانية في هاتين المحافظتين وأهميتهما السياسية ، والاقتصادية، وذلك ماكان يردده دائماً بأن أكبر محافظتين في سوريا تريدان الأسد، والواقع أن كل سورية قد رفضته ورفضت نظامه، تكهن البعض أن الدولة ربما ستفعل بعض الإجراءات التي تسكت فيها الشعب، وأُعلن في ذلك اليوم أن هناك كلمة مرتقبة لبشار الأسد في مجلس الشعب غداً، والكل في انتظار هذه الكلمة ، وماذا سيتكلم بها ؟؟؟

جاء ظهر يوم الأربعاء وكل الشعب السوري ينتظر ماذا سيفعل الرئيس الشاب المثقف الدكتور حتى يحتوي هذه الأزمة التي سقط فيها شهداء هم سوريون قبل أي شيء، خرج الرئيس السوري أمام مجلس الشعب الذي لاقى نقداً واسعاً على خزيه في ذلك اليوم.

تصفيق .....هتاف للقائد، والقائد يضحك ويحيهم عن اليمين والشمال، أما كلامه عن الأحداث المؤلمة فهي مؤامرة جاءت بها الدول العُظمى لتكسر محور المقاومة ، وربط المؤامرة بالمقاومة وكأنه أراد أن يقول من حيث لا يدري أن مقاومته كلها مؤامرة .

فالدول العُظمى هي من قالت لرئيس فرع الأمن السياسي في درعا أن يعتقل الأطفال ويهين أهلهم ومحافظتهم، والدول العُظمى هي من قالت لعناصر الأمن المركزي أن تقتحم الجامع العمري وتعيث فيه فساداً، والدول العُظمى هي من وضعت القناصة التي تتفنن في قتل المواطن السوري إما في رأسه وإما في قلبه، والدول العُظمى هي من تملك في كل محافظة سبعة أفرع أمنية على الأقل مهمتها التعذيب والإهانة، وفي النهاية الدول العُظمى هي من

أخرت عزل محافظ درعا الذي هو سبب المشكلة إلى ما بعد خطابه المشؤوم حتى تكتمل المؤامرة، الرئيس يتكلم عن المؤامرة في خطابه والمجلس يصفق ويهتف ويخرج أحد أعضاء المجلس ويقول له:

" الوطن العربي قليل عليك، وأنت يجب أن تقود العالم يا سيادة الرئيس"

طبعاً لا ننفي أن هناك رجال في هذا المجلس حرصوا على نقل الصورة كما هي ، لكن الدولة حرصت على صم آذانها وأمثالهم النائب يوسف أبو رومية (رحمه الله) الذي نقل الصورة كاملة فيما جرى في محيط الجامع العمري، وقال لهم في المجلس من كان يقتل الناس، لكن لا حياة لمن تنادي، كما وأعلن قسم منهم انشقاقه عن هذا المجلس لاحقاً.

خرجت مظاهرات غاضبة بعد هذا الخطاب المشؤوم الذي لم يلبي أي شيء من مطالب الشعب، وقتلت قوات الشبيحة في اللاذقية خمس وعشرين رجلاً، أما في باقي المظاهرات منهم من استشهد ومنهم من لم يستشهد لأن المظاهرات كعادتها يُطلق عليها الرصاص الحي، سواء أكان بخطاب الرئيس أو فيما سواه، وكان موعد الشعب السوري للرد على الخطاب الكاذب هو يوم الجمعة الذي تلاه والذي كان في ١ نيسان ٢٠١١ وسُميت بجمعة الشهداء تكريماً لجميع الشهداء الذين قُتلوا على أيدي قوات النظام في درعا ودوما وبانياس واللاذقية وحمص.....، إذ توسع نطاق المظاهرات في هذه الجمعة كما وتوسعت الشعارات التي بدأت تطال سقف الدولة أولاً فأول، لأنه حتى هذه اللحظة مازالت الشعارات مقتصرة على المطالبة بالإصلاح والنظام لا ينفذ أي شيء منها.

خرجت مظاهرات ضخمة في إنخل وجاسم والصنمين وغيرها من بلدات ومدن ريف درعا، وكذلك الأمر في المدينة في الجامع العمري، كما خرجت آنذاك مظاهرات عظيمة في ريف دمشق حيث قتلت قوات الأمن ما يقارب عشرة أشخاص في مظاهرة في دوما، كذلك

الأمر في مدينة حمص وريفها فقد تمكن المتظاهرون من الوصول إلى ساحة الساعة (الساحة الرئيسة في حمص)، وامتدت لتشمل مدن عامودا والحسكة والقامشلي وغيرها...، وهذه المظاهرات كلها بعد يومين من خطاب رئيس البلاد، فهي مؤشر بأنه لا عودة ولا رجوع عن المطالب حتى تحقيقها، ولم يُخدع الشعب حتى ولو كان من رئيس البلاد الذي إن استمر في تجاهل هذه المطالب ومقابلتها بالقتل سوف ترتفع المطالب إلى إطاحته لأنه المسؤول الأول عن هذه البلاد، واستمرت المظاهرات في هذا الأسبوع كما في سابقه وكما الأسابيع التي سوف تأتي بعده المظاهرات.

مظاهرات وقتل فيها ثم يليها تشييع وفي كل تشييع قتل ليتبعه تشييع آخر، وهذا ما حصل في مدينة دوما إذ قدرت أعداد المتظاهرين المشيعين بأكثر من خمسين ألف قد خرجوا في تشييع الشهداء الذين سقطوا في مجزرة الأمن، وقد أُعلن حينها في محافظة درعا إضراباً حداداً على أرواح شهداء دوما وغيرهم من شهداء سورية، فهو بحد ذاته أول إضراب في سورية وشكل من أشكال النضال السلمي ضد أساليب الأسد القمعية والهمجية التي انتهجها ضد أبناء شعبه، كان هذا الإضراب الثلاثاء ٥ نيسان ٢٠١١م حيث شارك فيه أكثر من ٩٠% من المحال التجارية في ظل تسلط أمني ، وكان هناك مظاهرات كبيرة في المعضمية خرجت بعد تشييع شهداء سقطوا في مظاهرات سابقة .

أما في يوم الأربعاء ٦ نيسان ٢٠١١ خرجت مظاهرة ضخمة شملت أغلب أرياف درعا في ساحة العمري حين كان بشار الأسد يعلن عزل حكومة سابقة وتشكيل حكومة جديدة وإجراء إصلاحات بسيطة وإطلاق سراح المعتقلين الذين اعتقلوا على خلفية الأحداث لا شيء ملموس على الأرض حتى يطمئن الناس وتجعلها تتخلى عن التظاهر وتعود إلى بيوتها، أطلق المتظاهرون شعارات منددة بتشكيل الحكومة الجديدة لأنها ستكون كسابقتها ولن يتغير أي شيء، فقد حاول النظام احتواء غضب الأكراد وأعلن أنه سيمنح الجنسية لمئات الأكراد

في سورية فهم كانوا يعيشون فيها دون هوية سورية، ولطالما حاولوا أن يثبتوا الانتماء للوطن بمظاهرات لكن إجرام النظام كان أسبق، أما الآن يحاول إرضاءهم وكسبهم إلى صفه لكن قد فاته الأوان ولم يُخدعوا منه بعد الآن.

بعد إعلانه منح الجنسية لمئات الأكراد خرجت أغلب مناطقهم بمظاهرات، ففي يوم الجمعة ٨ نيسان ٢٠١١م بما كانت تُعرف بجمعة الصمود خرجت مظاهرات في مدن رأس العين وعامودا والمالكية والدرباسية والقامشلي (ذات الغالبية الكردية) على الرغم من منحهم الجنسية السورية من نظام يحتاج بنفسه إلى هذه الجنسية لا مواطنون يقنطون على أرض سورية وهم جزء منها ولا يتخلون عنها، فقد قرر أكراد سورية ألا يتركوا الشعب السوري وحده في مطالبه المحقة والشرعية، فوقفوا في صف واحد ضد طاغية جثم على صدر السوريين عشرات السنين ولم يحقق أي من مطالبهم،

كما عمت مظاهرات أغلب مناطق سورية حيث اتسعت لتشمل كل من البوكمال في دير الزور وحمص وحماة وإدلب ومدن ريف دمشق وأحياءها، واستمر الحال كما هو عليه في بانياس في طرطوس، أما في درعا فقد أُسقط فيها تمثالاً آخر من تماثيل آل الأسد لكن ليس للأب وإنما لابنه لمن يعتبرونه شهيد حيث كان ذلك التمثال موجوداً أمام مبنى حزب البعث وسقط خلالها عدة شهداء وجرحى، في اليوم الثاني اجتمع في درعا أكثر من مئة ألف مشيع ممن شاركوا في تشييع شهداء جمعة الصمود وليشاركوا بعد التشييع في مظاهرات غاضبة ضد سياسة النظام القمعية.

في يوم الأثنين في ١١نيسان ٢٠١١م تتوجه قوات الأمن لاقتحام مدينة بانياس، حيث اقتحمت المدينة واعتقلت فيها أكثر من مئتي مواطن وقاموا بجمعهم في ساحة البيضا قبل أن يساقوا إلى أفرع الأمن، ليخرج مقطع بعدها يظهر فيه الناس الذين جمعوهم في هذه الساحة

وقد كُبلوا ووضعت أيديهم خلف ظهورهم ويقوم رجال الأمن بالقفز والدوس عليهم ويهتفون وهم واقفون على ظهورهم بشعارهم : " بالروح بالدم نفديك يا بشار"

وقد كانت هذه الصورة مؤذية للشعب السوري عامة ، واحتج عليها الكثيرون لما فيها من إهانة للمواطنين من قبل القوات الأمنية مما دفع التلفزيون السوري لنفي هذه الصور وليقول أنها مفبركة وحدوثها كان في العراق من قبل قوات البشمركة، ليخرج لاحقاً أحد المواطنين في البيضا ممن كانوا في الساحة وتعرضوا للدوس والضرب، حيث وقف في وسط هذه الساحة وتحدث عما جرى وما لاقوه من ذل القوات الأمنية.

في يوم الثلاثاء احتشدن نساء البيضا وبانياس على الاوتوستراد الدولي الواصل بين بانياس وطرطوس وطالبن بالإفراج عن المعتقلين، واتفق وفد حكومي مع الأهالي على أن يطلق سراح المعتقلين مقابل أن يدخل الجيش يوم الخميس البيضا.

اندلعت مظاهرات في كلية الآداب في جامعة حلب حيث قُدرت أول مظاهرة فيها بما يقارب خمسمئة طالب ، ثم توالت المظاهرات فيها رغم تعرض الطلاب للقمع والبطش من قبل قوات الأمن ، ليطلق عليها فيما بعد اسم (جامعة الثورة) .

أما في درعا فكان يُشكل وفد من وجهاء المدينة لمقابلة الرئيس– بناءً على طلب منه – لمعرفة ما يحدث وليستمع إلى مطالبهم ، تردد الأهالي في البداية قسم مع الذهاب إليه لرفع المطالب إليه مباشرة، وقسم فضل عدم الذهاب لأنهم لا يرون جدوى في ذهابهم إليه وسوف يعدهم ولن يلبي أي شيء من المطالب، لكن قرروا في النهاية على أن يذهب الوفد إليه ليطرح عليه ما يجري في مدينة درعا بتفاصيله، وكان على رأس هذا الوفد الشيخ أحمد الصياصنة بناء على طلب من الرئاسة أن يكون الشيخ أحمد ممثلاً الوفد، ويحدثنا أحد أعضاء الوفد حين عودتهم من الزيارة بأنه حين دخل الوفد إليه قال: أين الشيخ أحمد صياصنة؟

فأشاروا إليه ، وسلم عليه أول الناس في إظهار منه على تقدير الشيخ، ويضيف بما جرى معهم في الزيارة أن الرئيس قال لهم : إنني لا أعلم ما حدث في مدينة درعا من قتل ومظاهرات، ولم يخبرني أحد بما حدث .

ثم يقول: إنني أسامح كل الذين قاموا بتهديم تماثيل الرئيس الراحل لكنني لم أسامح من يحمل السلاح على إخوانه السوريين (وفي قصد منه في ذلك الوقت الأمن أو من قتل من أهل درعا).

قبل قليل كان الرئيس لا يعرف ماذا يجري في درعا ويريد أن يعرف من الوفد وبعدها يقول بأنه سامح كل من هدم التمثال ، خبر هدم التمثال وصل إليه، وخبر رئيس الأمن السياسي ومحافظ درعا وحماقاتهم لم يصل إليه !

يخرج المجتمعون من عنده بأنه سيسحب كافة المظاهر الأمنية والعسكرية في محيط درعا إلى حين تحقيق المطالب أولا فأولاً أي أنه في أول مظاهرة بعد لقائه هذا لن يُطلق الرصاص على المتظاهرين، لكن في يوم الجمعة التالي كان باسم (جمعة الإصرار) خرجت مظاهرات في أنحاء سوريا وجميعها أطلق عليها النار إلا درعا.

فهل ستسكت درعا بقتل إخوانهم وهم يشاهدون ؟

لا بل وخرجت في مظاهرات منددة بقتل السوري أينما كان سواءً أكان في درعا أم في غيرها من مناطق سوريا، كما ومنعت قوات الأمن جموع من المتظاهرين الذين قدموا من مدينة دوما في ريف دمشق حاولوا الوصول إلى ساحة العباسيين ليقيموا فيها اعتصاماً، لكن الاعتصام مستحيل في دولة الأسد، واصطدمت مظاهرات أخرى مع القوى الأمنية أيضاً في برزة في دمشق.

خرجت مظاهرات لأول مرة في بلدة مجدل شمس في الجولان منددة بسياسة الأسد وقتله لأبناء شعبه وتاركاً الجولان وأهل الجولان لأعدائه المفترضين.

خرج رئيس الحكومة الجديد ووعد بالإصلاح، وما هي الإصلاحات؟ لا نعرف ، كل ما نعرفه أننا سمعناه من رئيسه من قبله ولم نرَ أي شيء منها، جاء يوم الأحد الذي صدف بعيد الجلاء وهو عيد وطني في سورية يصادف بيوم جلاء القوات الفرنسية من سورية، شهدت سورية في هذا اليوم مظاهرات مطالبة بجلاء النظام الفاسد القاتل في السويداء وكافة مدن وبلدات سورية، لكن الجلاء عند الأسد هو جلاء شعبه الرافض لقمعه قبل أي جلاء آخر، وهذا ما فعله في اعتصام أهالي حمص في اليوم الذي يليه يوم الاثنين ١٨نيسان٢٠١٤م حيث خرج أهالي حمص في تشييع ثلاثة عشر شهيداً ممن استشهدوا في مظاهرة سابقة في حي باب السباع، صلى المشيعون على الشهداء في المسجد الكبير في المدينة ، ودفنوا الشهداء في مقبرة تل النصر شمال شرق حمص، بعدها عاد المشيعون مباشرة إلى الساحة الرئيسية في حمص التي تُعرف بساحة الساعة، أثناء عودة المتظاهرين مروا بحي الحميدية ذي الطابع المسيحي وكان أهالي الحي يرشون على المتظاهرين بالأرز تعبيراً عن التأييد والسلمية التامة، وقدموا لهم الشراب وكل ما يحتاجونه.

بدأ الاعتصام الساعة الثانية ظهراً وقُدر الاعتصام في بدايته بأربعين ألفاً من مختلف طبقات الشعب، حيث ضم الطبيب والعامل وغيرهم ، انتهى ذلك اليوم بمئة ألف متظاهر وشُكلت لجنة تشرف على الاعتصام بشكل عام بما فيها انتقاء الشعارات، قام المسيحي في ذلك اليوم بحماية مدخل الاعتصام اثناء صلاة المتظاهرين في الساحة، وهتفوا شعاراً واحداً:

" واحد ... واحد ....واحد... الشعب السوري واحد"

وصل خبر إلى المتظاهرين من أحد الضباط بأن يخلو الاعتصام قبل الفجر وإلا.....، ونحن الشعب السوري نعرف ماذا وراء إلا.

لم يخلي المعتصمون الساحة لأنهم لم يخرجوا حتى يعودوا دون تحقيق مطالبهم، بدأ إطلاق النار في الساعة الثانية ليلاً من بعض المباني الحكومية واستمر إلى الساعة الخامسة صباحاً نتج عن هذا الإطلاق الناري الكثيف أكثر من ثمانين شهيداً، حيث أخذت قوات الأمن تجهز على الجرحى وتنقلهم إلى المشفى عبر شاحنات، وسلمت جثامينهم فيما بعد على دفعات، أعلنت القوات الأمنية حظر للتجول في المدينة لمدة ثلاثة أيام حتى تسيطر على أجواء المدينة بشكل كامل، قضت على هذا الاعتصام كما قضت على اعتصام قبله في ساحة العمري بدرعا، وكلا الاعتصامين كانا في غاية السلمية ولم يتسلح أحد من المعتصمين حتى ولو بعصا، وكلا الاعتصامين يحاكي أرقى الاعتصامات في أرقى الدول، لأنها اعتصامات في غاية الروعة والسلمية ضد أعتى الأنظمة، فها هو الشعب المقهور الذي تعود على السمع والطاعة يشكل اعتصامات سلمية ويُهدد بالقتل والإبادة إن لم يفض الاعتصام يأبى ويتابع طريقه واعتصامه غير مبالي بالقتل طالما أسمع صوته للعالم ولم يستطيع أحد أن يخمد هذا الصوت حتى وإن اجتمع عليه العالم بأسره، خرج الشعب السوري بأكمله غاضباً في اليوم الذي يليه، حيث خرجت المظاهرات في أغلب محافظات سورية.

أما في درعا فكانت يومياً على موعد من المظاهرات الليلية من بعد رجوع الوفد وسحب النظام للمظاهر الأمنية في المدينة، فكانت المظاهرات تقام لمدة ساعات بعد صلاة العشاء في ساحة الكرامة جنوبي الجامع العمري، يُلقى في هذه المظاهرات الخطابات الثورية والشعارات والهتافات، وتُحيّا فيها صمود المناطق السورية في المظاهرات ضد الظلم، كما ويتضامن المتظاهرون مع المناطق التي أصابها قتل وبطش قوات الأسد الأمنية.

تتوالى المظاهرات التي كانت في البداية ذروتها يوم الجمعة ويسقط أكبر عدد الشهداء في ذلك اليوم، وفي كل جمعة يخرج أعداد أكبر من الجمعة السابقة في العدد وفي المناطق، فقد كان التوسع جلياً في الجمعة العظيمة ٢٢نيسان كان جزاء ذلك التوسع بأنه وُصف بيوم دموي حيث سقط فيه ما يقارب مئة شهيد، مجازر قوات الأسد بدأت تكثر شيئاً فشيئاً وفي أيام متتالية، لا أحد يستطيع أن يتكهن بما تفكر به قوات الأسد القمعية حيث ارتكبت مجزرة في مدينة جبلة في اللاذقية راح ضحيتها أكثر من عشرة شهداء في تشيع شهداء، خرجت سورية منددة بهذه المجزرة، كانت درعا من المناطق المنددة بهذه المجزرة وغيرها ولم تعلم ما الذي يخبئه جيش الأسد لهذه المدينة في اليوم الذي يليه، حيث ودعت درعا يوم الأحد بيوم ثوري لا يوجد فيه أي شهداء لأنها كانت خالية من الوجود الأمني، فالوجود الأمني بعكس اسمه دائماً حيث يوفر القتل لشعبه بدلاً من الأمن والسلام، ندد المتظاهرون في مساء يوم الأحد بمجزرة جبلة بريف اللاذقية، وودع الناس بعدها بعضهم البعض ويقول أحدهم إلى الآخر غداً نلتقي في ساحة العمري، لكن الأمر مختلف في صباح اليوم الذي بعده وهو يوم الاثنين٢٥ نيسان ٢٠١١م اليوم الأقسى في تاريخ درعا.

استيقظت المدينة على حشود عسكرية ضخمة جداً لم يرَ مثلها السوريون في تاريخهم الحديث، حيث قامت دبابات الجيش السوري بالاحتشاد محضرة معها الألاف من الجنود والمئات من القناصة المجرمين، وبدأ التحرك في الساعة الخامسة صباحاً تحت غطاء ناري كثيف ومن أعيرتها الثقيلة، كان حال الأهالي في ذهول كبير لأن هذه المرة الإطلاق الناري أكثف وأشد عياراً من الاقتحام الأمني في ليلة العمري. ما الذي حدث ؟؟

نزل جميع الأهالي إلى الشوارع حتى يعرفوا ما الذي يحدث، ويعلم الجميع بعدها أن الجيش العربي السوري قد أحشد الدبابات والجنود المدججة بالسلاح لاقتحام درعا البلد من جميع

المحاور، لأن الحي لم يخمد بالعمليات الأمنية فكان لا بدّ لها أن يُخمد بالعمليات العسكرية التي ستكون أطول مدة، وأشد بلاءً على المدينة.

المدينة التي طالبت بمطالب محقة – وهكذا وصفها النظام نفسه– في أعلى أشكال السلمية تحاصر الآن بالدبابات وتُقصف بها، نعم وجهة الدبابات الآن هي درعا لا الجولان ولا فلسطين، الأمر يخص عرش الطاغية.

دقائق من الوقت مع أصوات الرصاص الكثيف، حتى تقطع الكهرباء عن المنطقة ليتبعها قطع المياه، تعيش المنطقة طيلة أيام الاقتحام دون مياه أو كهرباء أو دواء، وكل شيء يخص الحياة المدنية، يا هل ترى هل سنرى دبابة تمشي في شوارعنا؟!

شوارعنا التي أدمينا أجسامنا حتى عبّدناها للسالكين، وجعلنا جمال الحي بجمالها، ستقوم دبابات بالمشي عليها وتحفيرها بجنازيرها، أيعقل أن ترى جنود جيشنا قد تركوا الثكنات والجبهات ليحتلوا مراكز المدن والأبنية ذات الأسطح العالية ليتخذوها مكاناً لقنص أي شيء يتحرك ؟!

أيعقل أن يحدث كل ذلك من أجل شخص واحد رفض مطالب أشخاص كثيرين يسمون شعباً ؟!!!

الناس في درعا في فزع كبير أمام آلة القتل القادمة بوحشية إلى الحي، ماذا سيفعلون؟

ومجتمع أهل درعا –كونه ذو طبيعة عشائرية– يحتفظ بقطع من السلاح لكنه قليل جداً نظراً لقبضة البلاد الأمنية، خرج كل من لديه سلاح خفيف جداً في مواجهة الدبابة السورية، وكان هذا اليوم هو اليوم الأول الذي يشهد ظهوراً للسلاح من بعض الشباب الذين لم يجدوا شيئاً للدفاع عن أنفسهم وعن الحي سوى السلاح الخفيف الذي لم يُستخدم لكسر سلمية المظاهرات والثورة كما ادعى النظام بأنها ثورة مسلحين وعصابات مسلحة تضرب الجيش

والأمن، لكن هذا السلاح الذي ظهر يقتصر على عدد محدود جداً من بنادق الصيد والذخيرة المحدودة لها، ولم يكن قبل هذا اليوم أي وجود للسلاح، حتى في هذا اليوم لا يُعتبر هذا سلاحاً أمام جيش مدجج بأعتى الأسلحة وأكثرها قتلاً.

أُستخدمت الرشاشات والمدفعية الثقيلة من قبل الجيش ضد منازل المدنيين التي كانت تعج بقاطنيها آنذاك، تسمع في ذلك الوقت بكاء الأطفال والنساء، لم يكن من الشباب بسلاحهم الخفيف ألا أن يؤخروا الجيش قليلاً عن المناطق التي هي في مرمى قذائف الدبابات حتى يتم إجلاؤها.

أحكم الجيش حصاره للحي من ثلاثة محاور ومن ثم توقف دون متابعة، لا أحد يعرف لماذا، وما هي السياسة التي يتبعها؟

أدخل قوات كبيرة في كل محور إلى أن وصل إلى نقطة معينة قبل الوصول إلى مركز الحي تاركاً الناس في حصار وضيق كبير، وخاصة مياه الشرب.

انتهى ذلك اليوم في انعزال كامل لدرعا البلد عن غيرها لا أحد يعرف عن الأحياء الأخرى للمدينة أي شيء سوى أن الكهرباء والماء والاتصالات مقطوعة وأصوات الرشاشات الثقيلة تملأ سماء درعا، لا يمكن أن نتوقع ماذا سيحصل في هذه الليلة المظلمة الموحشة التي لم تهدأ فيها أصوات القصف، ولا شيء يدل على أن الجيش يفكر بالانسحاب لا بل ويتابع في صباح اليوم الثاني أصوات الرصاص تخف في الليل ثم تزداد في ساعات الصباح الأولى يتقدم الجيش تقدماً بسيطاً ثم يعود إلى النقطة التي تمركز فيها في أول دخول له لا نية لإنهاء العملية العسكرية إذن.

تستمر المعاناة وتزداد مع انقضاء طول الوقت، حاولنا أن نكسر العزلة التي وضعنا فيها جيش المقاومة من خلال تأمين شيء من الغذاء أو الدواء ولا سيما للأطفال، لكن لا أحد

يستطيع أن يحصل على شيء سوى الموجود في المحال التجارية المغلقة والمحاصرة من الجيش، العالم الخارجي ينتظر أي خبر يخرج من مدينة درعا ولحسن الحظ في درعا البلد تغطي أجزاء منها التغطية الأردنية، وذلك ما كان اعتماد الناشطين في التواصل مع القنوات الإعلامية والإخبارية ، الحصار يفتك بالأهالي شيئاً فشيئاً لأن الشعب لن يمر عليه أي سابق لمثل هذه الأيام ، وحسبنا أننا في عام ٢٠١١م أي أننا في العصر الحديث وليس في العصر القديم عصر الانقلابات والحروب، لكن للأسف الأمر مشابه وأشد قسوة تُحاصر المدن وتُقصف بالدبابات وجميع الأسلحة الثقيلة ويُقتل أبناؤها أمام أعين الإعلام والعالم كله دون أن يبالي النظام ، لأنه لا يوجد أحد وجه له إنذار باستخدام الحل الأمني أو العسكري والقتل البشع .

أما يوميات العائلة السورية في أيام الاقتحام في درعا وغيرها من مناطق سوريا فيما بعد، حيث موارد المياه تبدأ بالانعدام وما توفر في المحال التجارية الغذائية إما أنه قد نُفذ وإما أنه قد كُشف على قناص فلا أحد يستطيع الوصول إليه، فأنت الآن في الحصار تنتظر مصيرك المجهول الذي يحيط بك، إما أن يقتلك جيشك وإما أن يعتقلك، وربما يستشهد الإنسان في الحصار لقلة موارد الحياة وأهمها الماء والغذاء، حيث رأينا الناس بدأت تجوب على بعضها البعض بأوعية صغيرة الهدف منها الشرب فقط، ولك أن تتخيل حال العائلة السورية وهي تنظر إلى أطفالها يبكيهم أصوات القصف والرعب ويبكيهم نقص المياه والغذاء، ظهر عند الناس في ذلك الوقت حالة من التعاون تسر القلوب حيث تقاسمت العائلات فيما بينها الطعام والماء حتى رغيف الخبز قد تقاسمه الأهالي فيما بينهم، وعملوا إلى إيصاله إلى الناس الذين لا يستطيعون أن يخرجوا من بيوتهم بسبب تربص القناصة في حاراتهم، ابتكر الأهالي عدة طرق لإيصال الطعام إلى الأهالي المحاصرين في البيوت من خلال ربط سلة تحتوي على ما توفر من الطعام ومن ثم يُرمى طرف الحبل إلى صاحب البيت ويقوم بسحبه، القناص يرى الحبل فيضرب على الحبل وعلى السلة إما أن تصل سليمة وإما أن تخترقها بعض الطلقات.

ú ú ú

أما الأشياء التي أهلكت الناس المحاصرين كانت قلة الدواء وندرة حليب الأطفال التي هزت مسامع أكبر المدن بأن أطفال درعا البلد يستنجدون الضمير الحي في إدخال الحليب إلى الأطفال، أما الدواء أيضاً لا وجود له لأنه قد فُرض حصاراً على الحي والمشافي الميدانية التي سُرقت من الجامع العمري في المرة الأولى لم تُكرر في المرة الثانية على القدر المطلوب خوفاً من نهب القوات الأمنية

لذلك كان هناك الشيء البسيط الذي بدؤوا بجمعه في أحد المساجد الصغيرة والتي هي أبعد عن تمركز الجيش، لكنها بقيت تعاني من شح كبير جداً في الأدوات الطبية حيث استشهد عدد كبير من الأهالي لسبب أنه لا توجد الأدوية المناسبة والعمليات المناسبة وما أقسى حالة الجريح الذي ينزف دماً ولا يستطيعون أن يقدموا له شيئاً إلا أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، وقد قال الأطباء في ذلك الوقت: لو أن هناك غرف عمليات لأسعفنا الكثير من الشهداء الذين استشهدوا بسبب عدم وجود العمليات الجراحية، والجريح في ذلك الوقت يعاني قلة الدواء اللازم لعلاجه ويعاني من جرحه إن دخل الجيش سيقوم بإعدامه دون أي انتظار، كما ويعاني من قلة الكادر الطبي مع العدد الكبير للجرحى، لأن الطبيب الذي سيشارك في إسعاف الجرحى يخاف على نفسه وعلى عائلته من بطش القوات الأمنية التي ستجعله مجرماً، ولا فرق عند الأسد من يحمل السلاح أو يحمل ضماداً أو يحمل قلماً كلهم مجرمون وخونه ومخربون لأوطانهم وهم في النهاية إرهابيون عند النظام.

أما الشهداء الذين يتساقطون بالعشرات في وقت الحصار لا نستطيع أن ندفنهم بسبب القصف الكثيف، وبسبب خطورة أغلب الطرق التي باتت مكشوفة على القناصة، ولا تستطيع بنفس الوقت أن تذهب بهم إلى المستشفى لأن الحصار المحكم يمنع ذلك، لذلك لا حل أمامنا إلا أن نضع الشهيد في البرادات المتنقلة(الشاحنات المبردة التي تستخدم لنقل المواد الغذائية بين البلدان) حيث يوضع الشهيد في الشاحنة و يُضع عليه اسمه لكن مع طول

مدة الاقتحام امتلأت الشاحنة مما أضطر الأهالي لجلب أخرى التي هي الأخرى امتلأت بالشهداء، وخرجت بذلك بعض الصور إلى وسائل الإعلام مثيرة غضب كبير في الشارع السوري بحجم القتل الذي يمارسه الأسد في درعا، أما مصير هذه الشاحنات فيما بعد دخول الجيش قام بأخذها إلى دمشق، وسلّم عدد منهم إلى أهلهم فيما بعد على دفعات وبشروط كان أول تلك الشروط أن يخرجوا إلى التلفزيون السوري الذي كان على استعداد تام للتصور مثل تلك الحالات ليتحدث أهل الشهيد على الشاشة بأن العصابات الإرهابية هي من قتلت ابني أو أخي أو.....

بهذه الطريقة تستلم الشهيد أما بغيرها فلاااااا.

أما المشكلة الأكبر في الحصار كانت الماء التي أخذت بالندور أولاً فأولاً لأن النظام قد قطعها مع الكهرباء والاتصالات، مع طول أيام الحصار كان من عنده وعاء ماء قد نُفذ منذ البدايات، المصيبة بأن لا تجد كأس ماء لتشرب، الأمر الذي أخرج الناس إلى الشوارع هذا يطلب من ذاك ليجد الآخر نفسه قد حمل وعاء وخرج به ويبحث عن مصدر يجد فيه القليل من الماء يكفيه الشرب، جاء مساء ذلك اليوم والمعضلة مازالت قائمة، لا أحد يستطيع أن يصف حالة الناس في مساء ذلك اليوم وهي تبحث عن الماء، يستنجد الأهالي: يا مغيث .

في تلك الليلة اختلط بكاء الأطفال وصراخ الأهالي مع أصوات الرصاص والمدافع، لكن " رحمة ربك خيرٌ مما يجمعون" يحدثني أحدهم مما كان خارج درعا البلد بأن السحاب في تلك الليلة القاسية لم يغطِ إلا سماء الحي وكانت الأيام هي أول أيام الصيف التي تندر هطول المطر فيها، لكن لأول مرة في حياتنا نسمع أصوات الرعود هكذا، ومن ثم أمطرت السماء مطراً قوياً استمر ذلك المطر لساعات في الليل في غزارة لم تشهد لها مثيل سوريا من حيث توقيتها وغزارتها، بدأ الفرح يغمر قلوب الأهالي وبدؤوا يضعون أوعيتهم تحت المطر وخاصة عند تجمع المياه من فوق الأسطح، أما جيش الأسد أخذتهم الرعبة من أصوات الرعود القوية

بدأت ألفاظ شتم الرب تتعالى منهم مع كل صوت رعد، بل ويحدثنا أهالي البيوت القريبة منهم أنهم كلموا سمعوا صوت الرعد قوياً يضربون الرصاص على السماء.

يمر علينا أول جمعة قاسياً حيث لا صلاة في الجوامع ولا خطبة للجمعة ستقام فيها، أُطلق على تلك الجمعة (جمعة الغضب) ولا شك أنها ستشهد مظاهرات ضخمة في جميع أنحاء سوريا، أما في ريف درعا فلم يصبروا على حصار المدينة ولم يكتفوا بالمظاهرات بل احتشدوا من كامل أرياف درعا ليشكلوا سيلاً بشرياً عظيماً قادماً من ثلاث جهات، من الريف الشرقي وجُمع منه كافة القرى والمدن الشرقية، أيضاً من الريف الغربي والريف الشمالي، مشت الجموع على الأقدام حتى وصول المدينة لفك الحصار عن درعا البلد بطريقة سلمية تامة لكن دائماً إجرام الأسد يواجه تلك السلمية بالمجازر، نبدأ من الريف الشرقي ما إن وصلت جموعهم العظيمة إلى بلدة صيدا وتحديداً عند مساكن صيدا العسكرية حتى أطلقت قوات الأمن الرصاص من الرشاشات الثقيلة التي تستعمل مضادات للطائرات ، لكن للأسف الآن يستخدمونها ضد أناس قد حملوا أغصان الزيتون وقطعوا مسافات طويلة حتى فك الحصار عن الأطفال والنساء التي جُوعت، قُتل من أبناء الريف الشرقي أكثر من خمسة عشر شهيداً أما الآخرون من تمكن بالفرار فقد كُتب له عمر جديد، ومن لم يتمكن من الهرب فقد أُعتقل في فرع المخابرات الجوية حيث أعدمت أعداداً كبيرة منهم فيما بعد، فكان ممن اعتقلتهم وعذبتهم حتى الموت هم الطفلان حمزة الخطيب وثائر الشرعي اللذان صارا رمزاً للطفولة المعذبة وبراءة الطفولة، حيث اعتقلت قوات الأمن الطفلين وعذبتهم شر تعذيب ومن ثم قامت بكسر أعناقهما، وبعد وفاتهم أطلقوا الرصاص عليهم، وحمزة الخطيب يبلغ من العمر ثلاثة عشر سنة وثائر الشرعي خمسة عشر سنة كانا قد ترافقا في الطريق للذهاب إلى درعا وفك الحصار عن أطفالها وقد حملا معهم طعاماً للأطفال الصغار المحاصرين، لكن الأسد قتلهم وقتل الطفولة معهم، ومن الهزل أن نسمع على قنوات النظام فيما بعد أن كلا الطفلين أرادا أن يسببا النساء في مساكن صيدا العسكرية، شيء مثير للسخرية بطفل يبلغ

من العمر ثلاثة عشر سنة لا يعرف من جنس النساء سوى كلمة " ماما" الآن يُتهم بسبي نساء الضباط العسكريين!

وفي القانون السوري لا يُعدم من أقدم على الاغتصاب حتى يُقتل طفل بهذه الطريقة الوحشية !

أما الريفين الغربي والشمالي لدرعا كذلك الأمر بهما عندما اقتربت جموعهم من مركز المدينة بدأت حواجز المدينة المنتشرة عند أبواب المدينة بإطلاق النار عليهم مخلّفةً بذلك أعداداً كبيرة من الشهداء، ذلك يوم لن تنساه درعا في عدد شهدائها الكبير، ومن ناحية أخرى وقوف وتكاتف أهلها مع بعضهم البعض، منظر تدمع العين من رؤيته حين ترى الطرق الرئيسة المحيطة في المحافظة قد امتلأت بالجموع البشرية على امتدادها وقد جلبوا معهم الطعام والشراب لإيصاله إلى إخوانهم المحاصرين، لكن بطشت قوات الأسد بهم وأطلقت النار عليهم بشكل عشوائي دون أي سابق إنذار، لتصلنا أخبارهم ونحن في حصارنا ونحزن عليهم أكثر من حصارنا، انتهى يوم الجمعة بيوم دامٍ على سورية بشكل عام وعلى درعا بشكل خاص، ويتابع الجيش حصاره على درعا البلد ليبدأ في الأيام التي تلت الجمعة مرحلة جديدة وهي مرحلة اقتحام المنازل والأحياء الصغيرة، وبدأت تحشيدات عسكرية ضخمة في الوصول إلى درعا البلد ليقتحموا الحي بشكل كامل بعدها، وينتشروا في الشوارع ومن ثم يبدؤون بتفتيش البيوت "بيت، بيت "، فالقذافي يتكلم والأسد ينفذ فجيش الأسد اليوم بجنوده يدخلون أحياء سورية (بيت بيت، ودار دار، وزنكة زنكة) لم يدع جيش النظام شيئاً في المدينة إلا وقاموا باقتحامه، أما حال البيوت التي يدخلون عليها حيث يقومون باعتقال الشباب حسب رغبتهم ، لأن الاعتقال عندهم حسب الرغبة لا التهمة، ومن ثم يقومون بسرقة الأشياء الثمينة من البيوت إما أمام مرأى أهلها وإما دون ذلك،

استباحوا المدينة ثلاثة أيام من خلع المحال التجارية وسرقة المحال التجارية بشكل كامل وبعدها تقوم الدبابة بقصف المحل بعد سرقته، لم يتركوا أي شيء في المدينة إلا وقاموا بسرقته أو تخريبه بما فيه الجوامع حيث اقتحموا الجوامع كافة وقاموا بتخريبها وتدنيسها وتمزيق مصاحفها، واتخذوا العديد من الجوامع نقاط تمركز لهم يتمركز فيها الجنود ، ومن هذه الجوامع تمركزوا فيها ما يقارب سنتين ونصف دون أي صلاة أو أذان إلى أن حررها الجيش الحر، والدنيا تقوم ولا تقعد إذا أساء أحد من البلدان الأجنبية إلى ديننا، وجيوشنا الباسلة تهين وتسيء ولا يُحرّك ذلك أي ساكن في الشارع العربي.

كان حال الحي كأن جنوداً من المغول اقتحموه وأحرقوه، تختفي حركة الأهالي ويلتزمون بيوتهم في انتظار كلٌ منهم المصير الذي ينتظره، أصوات المجنزرات بدأت تقترب شيئاً فشيئاً حيث تمر أول مجنزرة وتقطع الشارع كاملاً فتتبعها المجنزرات الأخرى والجنود الذين يطلقون الرصاص الكثيف في الهواء لكي لا أحد يخرج من بيته، بقي الحال هكذا حتى ملأ انتشارهم كافة الشوارع والطرقات ومن ثم بدؤوا بدخول البيوت كل بيت على حدا، حيث يخلعون باب البيت خلعاً وساكنيه في داخله لأنه لا يستطيع أي أحد أن يفتح لهم الباب والبنادق مصوبة إلى باب بيته وأي شخص يفتح الباب فهو مُعرّض إلى إطلاق النار عليه، يخلعون الباب ثم يدخلون البيت بوحشية وجميع الأمور متاحة لهم ودون أي رقيب أو حسيب من قتل لأبناء البيت أو اعتقال أو اغتصاب..... لا أحد يردعهم عن أي شيء، والاقتحامات تختلف وحشيتها من مدينة إلى أخرى ومن زمن إلى آخر، حيث أن الاقتحامات بعد سنة في الثورة أصبحت أكثر إجراماً وطائفيةً، أما الآن يدخل الجيش إلى البيت ويقوم بتوجيه الشتائم إلى أهل البيت لأنهم خانوا بلادهم وقائدهم، ومن ثم يصطفون الرجال جانباً ويعتقلون من يشاء بدافع المشاركة في المظاهرات أو أي دافع آخر كرسائل الجوال وغيره، ومن أمثلته أنهم قرؤوا إحدى الرسائل كتب فيها: " نريد أن نقرأ سورة ياسين ثم نسأل ربنا بها الفرج، انشرها

مليونية " فعرض نص الرسالة هذا صاحبها إلى الاعتقال بحجة أنه يدعي إلى مظاهرات برمز المليونية، درعا المدينة كاملة لا تحصي مئة ألف فكيف بالمليون؟!

بقي الجيش يدخل إلى البيوت ويفتشها ويسرقها لمدة ثلاثة أيام متواصلة ،قام الجيش بسرقة كافة المحال التجارية، وبقيت المدينة في حظر للتجول بشكل كامل ثلاثة أيام ومن ثم يسمحون بشكل تدريجي كساعة في اليوم تزداد تدريجاً مع الأيام.

قُدرت أعداد المعتقلين في هذه الحملة أكثر من خمسة آلاف معتقل، ووضعت الحواجز الكثيفة في جميع أنحاء درعا البلد حيث لا تقطع مسافة ٥٠٠م فيها إلا ووجدت حاجزاً وعليه عربة مصفحة، اتخذته قوات الأمن سنداً لها وتعزيزاً للاقتحامات الأخرى إن حدث هناك أي تظاهر، أُكتشف الكثير من جثث الشهداء التي قامت قوات الجيش بإعدامهم، ومن بين الشهداء كانت عائلة بأكملها مكونة من أب وأبنائه الأربعة حيث قيدوا الجثث ووضعوا أيديهم وراء ظهورهم ومن ثم قتلوهم رمياً بالرصاص ودفنوهم في حفرة بشكل جماعي حتى اكتشفهم الأهالي فيما بعد وتمكنوا من التقاط بعض الصور لهذه الجريمة البشعة التي هزت كيان العالم، لما اضطر النظام أن ينفيها جملة وتفصيلاً، وقرر أن يفتح بها محضراً للتحقيق وسيعاقب مرتكبها لكن استمر التحقيق دون أي نتائج.

أما الخبر الذي أزعج المدينة كلها هو اعتقال الشيخ أحمد الصياصنة ذلك الشيخ الذي عانى كثيراً منذ أيام الثورة الأولى كما عانى من قبلها، هم لم يراعوا بأن الشيخ ضرير بل وراحوا يضيقون عليه شيئاً فشيئاً، لأن الشيخ أحمد شيخ جريء منذ أيام صعوده منبر الجامع العمري، ولاقى الشيخ قبولاً عند أهالي درعا عامة لجرأته وقوة خطابه ولا سيما في أيام حرب لبنان وحرب غزة حيث كان الشيخ متعاطفاً إلى حد كبير مع الشعوب المقهورة والمظلومة، أُستدعي الشيخ لعشرات المرات إلى الأفرع الأمنية وتعرض إلى الاعتقال لأكثر من مرة بسبب خطبه في الجامع العمري وعدم تقيده بخطب الأوقاف حرفياً، لأن مديرية الأوقاف كانت قبل

الثورة تطبع أوراقاً في موضوع معين ويتوجب على كل خطيب أن يلتزم بهذا الموضوع بحذافيره دون أي تجاوز عليه ، فكان الشيخ لا يتحدث إلا بما يهم الناس ذلك الأمر الذي أزعج الأفرع الأمنية منه على خلاف علماء السلطة، كان رؤساء الأفرع الأمنية يستدعون الشيخ في كل فترة، تارة يحققون معه بنفس الوقت ويرجع إلى بيته وتارة يعتقلونه ويبات في أقبية الأفرع الأمنية، استدعاه ذات مرة رئيس فرع من الأفرع الأمنية وكان منزعجاً من الشيخ إلى حد كبير، فقال للشيخ في أول دخوله إليه: " أنت أعمى ومو قادريلك فكيف لونك بتشوف" فما كان منه إلا أن يسمع من الشيخ الرد القوي حيث قال له الشيخ: " الحمد لله الذي خلقني أعمى حتى لا أرى وجهاً مثل وجهك"

تناقلت حوران بأكملها هذا الرد من قبل الثورة في الوقت الذي كان لا يستطيع أحدهم أن يتفوه بكلمة واحدة أمام شرطي مرور حتى ولو كانت حقاً، وهكذا استمر التضيق من النظام على الشيخ إلى أن وصل به المطاف إلى رئيس فرع الأمن السياسي(عاطف نجيب) ومحافظ درعا(فيصل كلثوم) الذين تعهدا بأنفسهم بأن لا يبقوا لهذا الشيخ أي دور في المجتمع، لكن هيهات هيهات أن يمحوا ذكر من أصبح رمزاً لسورية وليس لدرعا فحسب، عملا في مطلع ٢٠١٠م على إصدار قرار يقتضي بمنع الشيخ من الخطابة والإمامة في الجامع العمري ، الجامع الذي تربى به الشيخ وأصبح جزءاً منه، الآن يُمنع منه ذلك الجامع الذي كلما ذكر اسمه ذكر معه اسم الشيخ، واجه الناس في درعا ذلك القرار بغضب لكن نحن نعيش في دولة الأسد التي لا تستطيع أن تقول إلا سمعاً وطاعة لكل قرار يصدر عن الدولة، لكن الناس عبرت عن غضبها بتصرفها حيث أخلت الجامع العمري تماماً من المصلين يوم الجمعة، الجامع الذي كان يتسع لأكثر من خمسة آلاف مصلي أصبح الآن لا يصلي فيه إلا بضع مئات، وهذا ما أرادوه من فصل الشيخ ومن ثم الجامع من حياة الناس حتى ينسوا دورهم ورمزيتهم في حوران، لكن تأتي الثورة في يوم الجمعة ١٨أذار لتنطلق وتعيد إليه رمزيته ومجده، فرغم حرمان رؤساء الأفرع الأمنية للشيخ من الخطابة توجهوا إليه للذهاب إلى الجامع

وإسكات الناس، لكن الشيخ لم يستكين بمطالبهم قبل الثورة وقبل أن يرفع مواطن واحد صوته ضد الظلم ، أيستكين الآن بعدما نفض الشعب عن نفسه غبار الذل ؟!

بل توجه إلى الناس ومخاطباً إياهم أن يثبتوا على مطالبهم لأنها مطالب محقة وشرعية، استمر تواجد الشيخ في الجامع العمري لا يبرحه أبداً، يقابل فيه الوفود ويخاطب الشباب الثائرين، شارك الشيخ في تشييع الشهداء وخاصة أول تشييع لأول شهيدين في الثورة السورية وألقى الشيخ فيه كلمات هزت الشعب الحوراني فكان مما ألقاه في ذلك اليوم:" نحن نذخر هذه الدماء الطاهرة الزكية لنقدمها رخيصة على الجبهات مع إسرائيل، لا لتُهدر بدم بارد على ثرى هذا الوطن وبيد أبناء هذا الوطن".

تكلم الشيخ مع القنوات الإخبارية شارحاً لهم بما يجري في درعا غير مبالي بالقبضة الأمنية التي تفتك بدماء الشباب، كما وشارك قرى ومدن درعا في تشييع شهدائهم حتى أُطلق عليه لقب " شيخ الثورة السورية" واستحق الشيخ هذا اللقب بما عاناه من قبل اندلا ع الثورة من النظام الاستبدادي، واستحقه أيضاً في وقوفه مع الثورة منذ انطلاق أول صرخة حرية عندما كان غيره الكثير واقفاً على خط الحياد من هذه الثورة، وشارك الشيخ في اعتصامات التي كانت تحدث في ساحة الكرامة وتكلم ذات يوم في هذه الساحة وكان قد اجتمع فيها أعداد كبيرة من المتظاهرين شملت أناساً من درعا بأكملها تقريباً ، فقال لهم الشيخ: " هنيئاً لكم يا أهل درعا، هنيئاً لكم يا أهل حوران، لقد دخلتم التاريخ من أوسع أبوابه وستبقى الأجيال القادمة تذكركم على مر التاريخ"

ونحن نقول بدورنا أن الأجيال القادمة في سورية بأكملها ستبقى تذكرك أيها الشيخ على مر التاريخ.

عندما طلب رئيس البلاد وفداً من أهالي درعا لمقابلته ويسمع منهم مطالبهم رفض الشيخ في البداية الذهاب لأنه يعلم لا جدوى في ذلك، لكن أصروا وبأوامر من القصر الجمهوري أن يكون الشيخ أحمد ممثلاً للوفد، وافق الشيخ في النهاية في الذهاب إليه، وعندما كان الاقتحام العسكري للحي فيما بعد كان الشيخ أحمد أول المطلوبين للزج به في السجن، وصوروه بأنه إرهابي ومتآمر وخائن قد خان الوطن، يقول لنا أحد ضباط الجيش السوري الذين دخلوا علينا في اقتحام البيوت بأنه رأى الشيخ أحمد صياصنة يقود سيارة ذات دفع رباعي وتوقف بها وأخذ يرمي البنادق إلى الإرهابيين، ورآه بأم عينه قد ركب سيارته بعدها وذهب مسرعاً،

والشيخ أحمد الصياصنة هو رجل ضرير ، كان يحتاج في أكثر الأحيان إلى رجل يقوده إلى الجامع، فكيف به الآن يقود سيارة ويرمي بالبنادق للإرهابيين؟!!

فقد الشيخ من تلك الحملة العسكرية أصغر أبنائه الشهيد أسامة، حزن الشيخ عليه كثيراً وقال في فراقه :

" والله إن العين لتدمع، وإن القلب ليخشع، وإنا على فراقك يا أسامة لمحزنون" وفقد الشيخ ابنه الآخر ليتركه مجهول المصير الذي مازال إلى اليوم مفقوداً ما بين الاعتقال والاستشهاد، ثم تنتهي العملية العسكرية في درعا البلد ويُعتقل الشيخ بكبر سنه ومكانته ومرض بصره، ليوضع في السجن ومن ثم الإقامة الجبرية دامت به أشهر إلى أن خرج بوساطة لجنة المراقبين العرب التي طلبت من النظام إخلاء سبيل الشيخ مقابل ألا يحرض الشيخ على التظاهر، وعندما خرج الشيخ من السجن أخرجوه مجموعة من الشباب إلى الأردن، الذي احتفل به شعب الأردن احتفالاً كبيراً ومازال الشيخ يؤيد الثورة بخطاباته وبكل ما استطاع عليه ولم يتخلَ عنها، وبذلك أضحى الشيخ أحمد الصياصنة الرجل الستيني رمزاً للثورة السورية التي أطلقت عليه لقب " شيخ الثورة السورية".

إذن استطاع النظام أن يخمد درعا المدينة في حين دخول الجيش لها، وهو بذلك لن يخمدها للأبد بل لبعض من الوقت حتى تتعافى من جراحها فقط، ظن النظام أنه حين أخمد درعا البلد بدخول الجيش إليها سيخمد كامل أراضي سوريا، لكن لن يجد في ذلك نفعاً فقرر أن يكمل طريقه إلى كامل أراضي سورية الثائرة، فانطلق من درعا إلى ريفها فكانت الوجهة طفس ومن ثم داعل وخربة غزالة في الريف الشمالي، والنعيمة والمسيفرة والجيزة في الريف الشرقي، واليادودة وتسيل ونوى في الريف الغربي، يكمل الجيش اقتحام كافة مدن ريف درعا، ويضع فيها حواجز عسكرية ليقف مد التظاهر السلمي، لم يطبق النظام ذلك على مدن وقرى ريف درعا فحسب بل وراح يكمل مشوراه العسكري في كل محافظات سورية فجيشه الكبير أولى له أن ينتشر في شوارع الوطن ليقتل أبناءه مقابل خروجهم رافضين رئيسهم، ينهي الجيش مهمته في درعا وريفها لينتقل إلى ريف دمشق ومن بعدها إلى حمص ليقتحم مدينة تلكلخ ويقتل العشرات ويعتقل المئات فيها، يتابع قمعه وتسير آلته العسكرية إلى بانياس مجدداً وبلدة المرقب في ريفها ويقتل فيها سلميتها، ومن ثم يتوجه الجيش إلى قلعة الصمود الرستن ويحاصرها ما يقارب مئة دبابة، يطلق الناشطون على الجمعة التي مرت فيها هذه الاقتحامات العسكرية ب (جمعة التحدي) لتأكيد المواصلة في الثورة السلمية وتحدي لتلك القبضة الأمنية والعسكرية، يأتي على سوريا السادس من أيار وهي مناسبة وطنية تُعرف بعيد الشهداء حيث تحتفل سورية في كل عام بهذا اليوم، أما في الثورة فكل يوم فيها هو عيد للشهداء وخاصة في اليوم الذي تلاه فكان يوم السبت السابع من أيار حيث خرجن نساء من بلدة المرقب في بانياس يطالبن بالإفراج عن المعتقلين الذين اعتقلهم الجيش في دخوله إلى البلدة، فما كان من الحواجز العسكرية إلا أن فتحت النار على النساء لتردي أعداداً منهن شهيدات وأعداداً أخرى إصابات، حتى النساء اللواتي طالبن في الإفراج عن أبنائهن هن إرهابيات ومسلحات ومتآمرات بدعم خارجي، إجرام النظام في هذه الذريعة طال الرجال والنساء والأطفال، تستمر العمليات العسكرية في شرق سورية وتُكتشف المقابر الجماعية في

كل حين من المناطق التي اقتحمها الجيش، يُطلق على الجمعة التي تلت مجزرة نساء المرقب في ١٣أيار (جمعة الحرائر)، مع استمرار الحملة العسكرية في المناطق التي قصدها القتل والدمار من جيش البلاد نفسه تظهر في سورية لأول مرة في تاريخها حالات نزوح هرباً من جيش بلادهم، سورية التي ضمت النازحين ممن هرب من الحرب الدائرة في بلاده كالعراق في حربه مع أمريكا ولبنان في حربه مع إسرائيل، فهي الآن تستقبل نازحين سوريين في حربهم مع من؟؟؟.....مع جيشهم، يا للعار من جيش ونظام المقاومة يفتخر بدعم الشعوب المظلومة.

تشارك المناطق الكردية في المظاهرات بقوة في جمعة أُطلق عليها (جمعة آزادي) أي حرية، منددين بالقتل والآلة العسكرية التي وُجهت إلى قتل الناس السلميين من أبناء وطنهم في المناطق الأخرى، لأن الشعب السوري يحب بعضه ويجمعه رابط الدم لا فرق بين عربي وكردي أو أي طائفة أخرى .

أحرق المتظاهرون في تلك الجمعة مقر حزب البعث في مدينة البوكمال من مدن دير الزور تعبيراً عن غضبهم من القتل المستمر لإخوانهم في مناطق سورية الأخرى.

نحن الآن في مرحلة جديدة من مراحل الثورة في سورية بعد الحملة الأمنية ليدمجها النظام مع حملة عسكرية ويعتمد عليها النظام في إخضاع إرادة الشعوب وتبقى إرادة الشعوب فوق كل متكبر، وربما تناسى أن إرادة الشعوب لا تخضع ولا تنكسر، بعد ذلك أطلق الناشطون على جمعة السابع والعشرين من أيار ٢٠١١م(جمعة حماة الديار) في تذكير للجيش العربي السوري بأنكم حماة الديار ولستم بقتلة لأهل الديار، ونشيد البلاد الوطني يبدأ باسمكم فلا تجعلوا نهاية البلاد وخرابها بأيدكم من أجل رجل ورث الإجرام عن أبيه، لكن للأسف لا حياة لمن تنادي إلا من رحم ربي حيث أعلن قسم انشقاقهم عن هذا الجيش، لأن الجيش بأكمله لم يقف مع مطالب شعبه وأعلن الحرب على شعبه ، لكن الحرب لن تثني إرادة

شعب طالب بالحرية وإذا ما عدنا للتاريخ فهو خير شاهد على ذلك ونذكر صمود مناطق سورية أمام جيش أقوى وأعظم من جيشنا الباسل وهو الجيش الفرنسي في احتلاله لسورية ما بين ١٩١٩ ــ ١٩٢١م نذكر أن المناطق هي التي ثارت على الاحتلال الفرنسي هي نفسها من تثور على الاستبداد الأسدي فإذا ما ذهبنا إلى الشمال السوري حيث جبل الزاوية ومناطق إدلب وحارم وجسر الشغور....فكانت ثورة إبراهيم هنانو مع التنسيق مع ثورة الساحل الشيخ صالح علي، واليوم أحفاد إبراهيم هنانو يثورون على مستبد أقسى من المستعمر الفرنسي، ويذكر التاريخ ثورة تلكلخ في حمص واليوم أيضاً أهلنا في تلكلخ ينزحون خارج بلدتهم من بطش نظام دولتهم، وإذا ما ذهبنا إلى حوران فلن ينسَ أبناؤها معركة خربة غزالة التي رفضوا بها الانتداب الفرنسي كما لن ينسوا شيخ الثورة آنذاك الشيخ مصطفى الخليلي الذي قاد سلسلة المعارك على ثرى حوران، حيث اقتحم العديد من المعسكرات الفرنسية ومن ثم قام العديد من المعسكرات الفرنسية، ومن معاركه المتفرقة في بلدات حوران: جمرك درعا جنوبي سورية، زيزون، الشجرة ، المسيفرة، والمزرعة وداعل .....وغيرها، وانتهى نضال ذلك الرجل حيث وقع أسيراً في قبضة القوات الفرنسية في إحدى المعارك ليتمكن من الفرار فيما بعد إلى بلدة المغير في الأردن، أما اليوم فشيخ ثورتها هو أحمد الصياصنة من بعد الشيخ مصطفى الخليلي ليعلن الثورة على الظلم في نفس مناطق وبلدات حوران لكن في هذه المرة الظلم أشد والعدوان أشرس.

تستمر الآلة العسكرية توجهها إلى المدن السورية ظناً منها أنها ستجبر هذه المدن إلى الخنوع والإذلال، ويكمل الجيش حملته العسكرية إلى قلعة الصمود وهي الرستن ليلقى فيها مقاومة شديدة فقد كان في ذلك الوقت عدد من الضباط قد أعلنوا انشقاقهم وتمركزوا في الرستن (و الرستن معروفة بسورية بعدد ضباطها) ومن بين هؤلاء الضباط الذين أعلنوا انشقاقهم قبل فترة قصيرة في درعا الملازم عبد الرزاق طلاس، والملازم أو أحمد الخلف الذي

أعلن انشقاقه في درعا أيضاً وذهب إلى الرستن ليلتحق بركب الثورة هناك وقال ذات يوم في الحملة العسكرية مقولة مشهورة له:

" إذا رأيتم الجيش قد دخل الرستن فاعلموا أني قد استشهدت "في إعلان واضح أنه لن ولم ينسحب إما الشهادة وإما النصر، وعندما دخل الجيش الرستن دخوله الأول والوحيد كان أحمد الخلف قد استشهد في دفاعه عن المدينة سطر الشهيد أروع ملاحم التضحية والبذل والبطولة ، ستحمل الرستن وسورية اسم الشهيد ما حييت. وفي أثناء الحملة العسكرية على تلبيسة والرستن تخرج إلى الإعلام صور الطفل حمزة الخطيب ومن بعده الطفل ثامر الشرعي وآثار التعذيب الوحشي قد ظهرت عليهم، وبعدها تُقتل طفلة بريئة لتلحق بركب الطفولة الجريحة وهي هاجر الخطيب التي قُتلت بطريقة وحشية بعد استهدافها بشكل مباشر لها ولأخواتها من قبل الجيش السوري، فكانت صور الشهيدة مع صور الشهيدين الطفلين لها صدى في الشارع السوري والشارع العربي وتُسمى الجمعة التي وردت فيها أحداث الطفولة (أطفال الحرية) لما جرى للأطفال الشهداء، ولا ننسَ أن الأطفال كانوا هم شرارة الثورة والآن هم وقودها.

تخرج جميع المدن غاضبة في مظاهرات عارمة غير مبالية بالآلات العسكرية التي تقتل وتهدم البيوت، وحصلت في هذه الجمعة عدة مجازر كان اللافت منها ما حدث في محافظة حماة التي انتفضت رغم جراحها التي لم تُنسَ من زمن أبيه، واليوم الابن يجدد جراح أبيه حيث خرجت المحافظة في ذلك اليوم بمظاهرة حاشدة قُدرت بعشرات الألاف واجتمعوا في ساحة العاصي في مركز المحافظة فما كان من الأمن السوري إلا وأن توجه إلى مكان المظاهرة لتفريقها كما فعل في باقي المحافظات والمدن السورية ليطلق الرصاص الحي على تجمع كبير من الحشود، مخلفاً ما يقارب خمسين قتيلاً، كانت مجزرة مروعة ومؤلمة حتى الإعلام الرسمي لم يستطع أن يتجاهلها حيث تحدث أن ثلاثة من الإرهابين قد أطلقوا الرصاص بشكل

عشوائي على المدنيين أثناء خروجهم من صلاة الجمعة، إذن الجريمة معترف بها من التلفزيون السوري ومن الجهة الحكومية، وبزعمهم أن الإرهابين من نفذها، وأين الإرهابيون قبل ذلك اليوم لينفذوا مثل ذلك الفعل؟

وفي ذلك اليوم أُعلن فيه عن إضراب عام في كافة المحافظة حزناً على الشهداء، ليخرج بعدها الآلاف في تشييع الشهداء، وفيما بعد وجد الأهالي عشرة جثث عند الطريق الدولي الرابط بين حلب ودمشق كانوا قد قُتلوا في نفس يوم المجزرة، امتد الإضراب في عدة أماكن لمدة ثلاثة أيام وبذلك تكون حماة انضمت بشهدائها إلى قافلة المحافظات الثائرة لتشارك فيما بعد بمظاهرات مليونية في ساحة العاصي.

أما المجزرة الأخرى التي ارتكبتها قوات الأمن في سورية كانت في جسر الشغور في إدلب حيث خرجت مظاهرة ضخمة فيها في جمعة أطفال الحرية قامت قوات الأمن القمعية فيها بأسلوبها الاعتيادي الذي لا تفقه سواه وهو إطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين السلميين ليسقط خلالها عشرات الشهداء في ذلك اليوم، مما أثار غضب شعبي كبير في تلك المنطقة وما حولها التي احتضنت بدورها عدد من المنشقين عن جيش النظام كان أبرزهم المقدم حسين هرموش وإعلانه عن تأسيس حركة الضباط الأحرار ليتصدى لمثل هذه الأعمال الوحشية من قبل النظام السوري، ونفذوا عدة عمليات ضد عناصر القتل والإجرام في تلك المناطق كان أبرزها عمليات جسر الشغور نفسه، لكن العتاد الفردي الخفيف كان لا يسمح لهم بالصمود أمام جيش استقدم الدبابات والطائرات أمام تلك القلة القليلة، الآن عناصر الجيش العربي السوري يهجرّون الشعب السوري أيضاً من جسر الشغور إلى تركيا، يا لعار مقاومة كاذبة خادعة خدعوا بها الشعوب العربية، وفيما بعد استكمل الشعب السوري خروجه من بيته باتجاه الحدود التركية قادماً من مناطق ريف إدلب هرباً من الحملة العسكرية الشرسة وخاصة في معرة النعمان حيث أخذ الجيش فيها في وضع الحواجز في محيطها ليمنع

زحف المتظاهرين إليها من كفر نبل وكفر رومة ومعرشمارين وجرجناز، ويخرج رأس النظام من وسط عملياته العسكرية في خطاب له أمام شعبه ليكرر كلامه بالمخربين والمتآمرين الذين تقاضوا مبلغاً من المال قدره ٢٥ليرة سورية للخروج في المظاهرة الواحدة .

أي هراء من رئيس للبلاد؟

هذا ما عودنا عليه النظام بدلاً من أن ننتظر ونرى استجابة للمطالب في خطاباته ونلتمس تهدئة لنفوس الثائرين الغاضبين، وصفهم بالمخربين والمتآمرين، ويستمر في قتلهم في بلدانهم ومدنهم.

لأن في اللحظة التي تكلم بها رئيس البلاد أمام شعبه، سيخرج شعبه نفسه بعد خطابه رافضين إياه، بل ويطلقون على الجمعة التي تلي خطابه ب(جمعة سقوط الشرعية) لإسقاطها عن طاغية عاث فساداً في بلاده وأسرف في قتل شعبه دون أي رادع له، لذلك يئس الشعب من إصلاحاته المزعومة والوعود الفارغة فهو لن يغير أبداً فلا بد له أن يتغير، بدأت محافظة حماة تدخل بقوة في مظاهراتها في هذه الجمعة وما بعدها من الجمع مثل جمعة (ارحل)حيث بلغ عدد المتظاهرين الذين تجمعوا في ساحة العاصي نصف مليون بصورة سلمية تامة تحاكي ميدان تحرير مصر، وخرج في جمعة "ارحل" ما يقارب ٤ملايين متظاهر في سورية كلها رغم العمليات العسكرية في بعض المناطق، ورغم القمع الأمني والقتل، فلو تهيأ للشعب السوري عدم تعرضهم للقتل والقمع لخرج أكثر من ١٥مليون معارض للأسد وسياسته، عندما خرج نصف مليون متظاهر في ميدان العاصي في حماة في اعتصام سلمي وحضاري ما كان من قوات الأمنية إلا وإن ردت عليه بعنف وراحت تشن حملة شرسة من الاعتقالات وقتلت خلالها العشرات، ومن بين الذين اعتقلتهم قوات الأمن منشد الثورة في حماة إبراهيم القاشوش ومن ثم قتلوه واقتلعوا حنجرته لأنها كانت تصدح بأناشيد الحرية، فكان القاشوش فيما بعد رمزاً من رموز الثورة السورية.

كانت عمليات النظام العسكرية التي اجتاحت سورية سبباً في انشقاق عدد كبير من الجنود، وهذا ما حصل في عمليات الجيش في جبل الزاوية حيث انشق العشرات من جيش النظام المقتحم لبلدات جبل الزاوية في إدلب لأنهم باتوا على معرفة بإجرام جيشهم ضد أهلهم من أجل رئيس مجرم، فكان جبل الزاوية من أقوى النقاط التي يحدث فيها صد للقوات الأمنية، وأُعلن فيها تشكيل الجيش الحر في ٦تشرين الأول من عام ٢٠١١م ليحمل على عاتقه المدنيين الآمنين من مجرمي الأسد مقدماً روحه حماية لأهله ، أهله الذين خرجوا إلى الشوارع رافضين عقوداً طويلة من الذل والظلم والقهر، وأهله أيضاً الذين خرجوا في العاصمة دمشق وفي كل المحافظات، فقد كانت قد خرجت مظاهرة لمئات المثقفين والفنانين فكان أبرزهم خالد تاجا" رحمه الله" وقد اعتقلوا جميعهم في ذلك اليوم، لكن نتوقف قليلاً من الفنانين الذين انخرطوا في الثورة مع شعبهم، وأدوا رسالة فنهم بكل صدق وأمانة وإخلاص، لهم من شعبهم أرق تحية ،على خلاف نفاق قسم كبير من الفنانين الذين تعودنا أن نراهم في شاشات التلفاز بوجه ونراهم اليوم بوجه آخر، من منا لا يذكر المشاهد البطولية التي يؤديها الفنانون في مسلسلاتهم أثناء خروجهم إلى الغوطة، وأي غوطة ؟...غوطة دمشق، أو مشاهدهم وهم يساندون الثوار في الغوطة أيضاً، مشاهد أخرى تظهر فيها هم أنفسهم ثوار الغوطة، وأنهم لا يحبون الظلم والقهر وأنهم سيثورون للدفاع عن أهلهم ضد الظلم والطغيان، أما الآن الغوطة نفسها تُذبح لعشرات المرات وُقتلت بالسلاح الكيماوي ، وهم " الفنانون" على أرض الوطن يصفقون ويرقصون للجيش العربي السوري الباسل الذي نفذ هذا الهجوم ضد أطفالهم وأهلهم، أما في مشاهدهم التمثيلية يظهرون تعاطفهم مع الثوار.

أي نفاق أثبتوه تجاه شعبهم؟! وأي وجه سيقابلون شعبهم الذي أحبهم، ومنهم من نقد دولته في مسلسلاته وينكر ممارساتها القمعية من قبل الثورة، لكن خرج بوجه قاتم أمام شعبه حين أيد ممارسات الدولة القمعية حين قامت الثورة، وصارت الدولة بنظره لا تخطئ وهي تمثل الكمال بشخص قائدها الأسد وفيما سواه مخرب للبلاد ومرتزق، لكن تعرف الرجال

بالشدائد، وتعرف الشرفاء بالمواقف، هذا جانب من نفاق الفنانين في ثورتنا وما أكثره، لكن هناك القسم الآخر منهم صدقوا فنهم الذي جسدوه في الواقع من خلال وقوفهم مع ثورة شعبهم ورفضهم للقتل.

تتابع الثورة السورية مشوارها مع القتل ومع العملية العسكرية التي أعلنها الأسد على شعبه، فقد اعتصم عدد من محامي السويداء في نقابة المحامين رافضين لسياسة النظام ضد إخوانهم فما كان من قوات الأمن إلا وحاصرتهم واعتقلت قسم كبير منهم في الوقت الذي خرجت فيه معظم أحياء دمشق فيما أطلق عليه الناشطون (الخميس الدمشقي)، تتوالى الأيام وتتوالى الجُمع في مسمياتها الثورية وازديادها تضخماً ضد حكم الأسد، لكن الأسد الذي غضب من هذه المظاهرات قد أعلن حرباً عشواء ضد شعبه، عملياته العسكرية تطال المحافظة تلو الأخرى، عندما وصلت تلك العمليات إلى حماة ذات الخصوصية الكبيرة في القتل عند النظام منذ مجزرة ١٩٨٢م في عهد الأسد الأب الذي ارتكب فيها مجزرة مروعة بقيت المحافظة تتذكرها إلى يومنا هذا، لكنها استطاعت أن تنفض عن نفسها غبار الخوف وانتفضت مع المحافظات الثائرة لتدفع دماءً جديدةً ومجازر أخرى تحاكي مجازر العصر السالف، في أول أيام الشهر الفضيل شهر رمضان يسقط في المدينة مئة شهيد في اجتياح لها من قبل آلة النظام العسكرية التي استمرت في القتل والهدم واقتحام البيوت أول أيام شهر رمضان، راح ضحية الحملة العسكرية على حماة قرابة ٣٠٠شهيد وآلاف المعتقلين، تضامن الشعب السوري بكامله مع حماة وتكثفت المظاهرات التي أصبحت كل يوم بدلاً من كل جمعة فخرجت مظاهرات في المناطق التي دخلها الجيش ووضع فيها الحواجز العسكرية كدرعا وغيرها.

كانت محافظة درعا تسكنها الكثير من الحواجز العسكرية منذ اقتحامها العسكري الأول ومع ذلك لم تتوانى في الخروج في المظاهرات المتضامنة مع المحافظات السورية الأخرى، حدث

في تلك المحافظة أن المخابرات الجوية أخرجت أسير لديها لكن أخرجته شهيداً من شدة التعذيب، خرجت مظاهرة في تشيعه من الجامع العمري الذي كان يحيط به أربعة حواجز عسكرية بشكل ثابت حيث صُلي عليه في الجامع بعد صلاة العصر ومن بعدها انطلقت المظاهرة بكل شجاعة أمام تلك الحواجز، شارك في تلك المظاهرة المناضل معن العودات شقيق المعارض هيثم مناع، كان معن حديث الإفراج عنه من المعتقل لكنه بقي يناضل بشكل سلمي ضد طاغية لا يفقه بالسلمية، وبعد الانتهاء من ذلك التشييع كان الحاجز الذي يقع جانب مقبرة الشهداء قد استنفر استنفاراً كاملاً، توجه إليه معن للتوسط عنده بألا يطلقوا النار على المتظاهرين السلميين، وافق الحاجز العسكري لكن المخابرات الجوية التي لحقت المظاهرة لم توافق على ذلك حيث بدؤوا بإطلاق النار على المظاهرة حتى قتلوا سبعة شهداء وعشرات الجرحى، فكان من بين الشهداء معن العودات، الذي قال كثيراً أمام جموع المتظاهرين بأنه مستعد أن يقدم دمه رخيصاً مقابل ألا يراق دم واحد من المتظاهرين، أُعتقل المناضل معن العودات منذ اندلا ع الثورة لأكثر من مرة في مختلف الأفرع الأمنية لكنه لم يتوانى في الخروج في المظاهرات حتى نال الشهادة، وقف ذات يوم في وسط الجامع العمري وقد تجمع حوله العشرات من الشباب الثائرين وقال لهم :

بأنه متأسف لأنه قال للمتظاهرين بأن يتركوا مركز المدينة ويرجعوا إلى درعا البلد للتظاهر حيث البعد عن الأفرع الأمنية كي لا يسقط المزيد من الشهداء لأن عناصر الظلام لا يوجد في قلوبهم الرحمة ، فكان ذلك القرار مني، وكانت دموعه تنهمر على خديه وهو يتحدث في تلك الكلمات.

تتناوب الثورة السورية في أحداثها ومجرياتها فتخرج حلب في مظاهرات سلمية عظيمة تحاول فيها الوصول إلى ساحة سعد الله الجابري في الثاني عشر من آب فيما أطلق عليه "بركان حلب"، ويتابع الجيش من جهة أخرى عملياته في اللاذقية عروس سورية على البحر

ليشارك فيها نوعاً جديداً من ترسانته العسكرية وهو سلاحه البحري ، حيث شاركت البوارج البحرية في قصف المدينة على خلفية الاحتجاجات والمظاهرات التي خرجت فيها، بدأت الحملة على المدينة في حي الرمل بأكثر من عشرين دبابة وفي انقطاع تام للكهرباء والماء ووسائل الاتصال ومن ثم تتابع الآليات العسكرية طريقها إلى أحياء اللاذقية الأخرى كحي صليبة والسكنتوري....وغيرها، خلفت هذه العملية كغيرها من العمليات عشرات الشهداء ومئات المصابين وآلاف الجرحى، لكن رغم حملة الأسد العسكرية المتواصلة لإخضاع المناطق السورية لكنه لم يستطع ذلك لأن من عرف طريق الثورة لن يرجع إلى طريق العبودية، فيما بعد عمد النظام في اغتيال شخصيات ذات قبول شعبي واسع وعُرفت بتأيدها للثورة فكان منهم مفتي حلب الشيخ إبراهيم السلقيني حيث اغتالته قوات النظام في يوم الثلاثاء ٦أيلول من نفس عام الثورة، ووجهت بعدها أصابع الاتهام إلى عناصر إرهابية كعادتها ، بل وطبق النظام في اغتيال الشيخ المثل العامي المعروف في سورية: " يقتل القتيل ويمشي في جنازته" حيث يقتل ويغتال وفي اليوم الثاني يترحم عليه، لكن في الواقع خرجت أعداد كبيرة غاضبة في تشييع الشيخ خرجت من الجامع الأموي بحلب واستطاعت أن تصل وقتها إلى ساحة سعد الله الجابري.

أما الشخصية الأخرى التي اغتالها النظام التي تعد من رموز الثورة وهي الناشط السياسي " مشعل تمو" ذو أصول كردية في سورية، دخلت عليه مجموعة كبيرة مسلحة في بيته وراحوا يطلقون النار عليه حتى أردوه قتيلاً وكان في بيته ابنه وناشطة كردية وكانا قد تصوبا بدورهما من هذه الحادثة، أيضاً يلقي النظام الاتهام إلى الجماعات الإرهابية، لكن من يخرج في تشييع الناشط يهتفون ضد النظام ويطلق عليهم الرصاص ويسقط من بينهم شهداء! ومن ثم يلقي عليهم تهم الإرهاب، تجمعوا في ذلك الوقت حول تمثال حافظ الأسد في مدينة عامودا وبدؤوا يضربون به حتى استطاعوا إسقاطه ليضاف إلى قائمة التماثيل المنهارة والمهدمة بأيد سورية وليست بأيدٍ خارجية محتلة كما فُعل في دولة عربية مجاورة.

ú ü ù

ينتقل النظام إلى مرحلة جديدة من القمع بعد دخول الجيش إلى المدن حيث ينصب الحواجز العسكرية في كافة أرجاء الحي الذي يقتحمه، ويقوم من بعدها بقنص المدنيين في بيوتهم ليمنع خروج المظاهرات، تأتي مرحلة أشد إجراماً وأشد دموية من النظام ألا وهي مرحلة الاقتحامات الأمنية حيث يستقدم النظام أعداداً كبيرة من عناصر الأمن وتتخذ من وجود الجيش في المدن قاعدة لدخولها ثم تدخل قوات الأمن، وأغلب الاقتحامات الأمنية تتم في ساعات الفجر الأولى أي قبل خروج الناس من منازلهم ويبدؤون بإطلاق الرصاص الكثيف باختلاف أعيرتها ويقوم الجيش المتواجد في الحواجز بمؤازرتهم في ذلك، خلال الاقتحامات الأولى تدخل قوات الأمن دون أي تواجد لعناصر الجيش الحر حتى كثُرت أعداد الجيش الحر فيما بعد وأصبحوا يواجهون الأمن في كل اقتحام له، عندما يدخل الأمن إلى مدينة من المدن يبدأ بالدخول إلى البيوت بأجمعها ويقتلون من يشاؤون في البيوت دون أي حساب لهم وغالباً ما يتفننون في القتل بالقنص بدم بارد، كما ويتفننون بقتل المعتقلين بالإعدامات أما رمياً بالرصاص أو ذبحاً بالسكاكين فهم لا يفرقون بين طفل صغير أو شيخ كبير، والقتل هو كبيرة في تاريخ الأمم لا يقدم عليه إلا المجرم السفاح، ومن الضرورات التي أجمعت عليها أمم الأرض حفظ النفس وعدم الاعتداء عليها وشددت في عقاب من يقتلها بغير حق في كافة ديانات الأرض إذ يقول الله تعالى في القرآن الكريم : "وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا " (النساء ٩٣)

ويقول تعالى أيضاً: "مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ" (المائدة ٣٢)

ويقول نبيه الكريم: " ما يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً" (صحيح البخاري).

فالقتل مرفوض في كل الديانات السماوية، يحدثني صديقي من المسيحين حين كان يستنكر كافة القتل الذي يلحق بإخوانه كان دائماً يردد: " وقد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم، أما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم " (انجيل متى).

ومن القتل في الاقتحامات إلى وحشية أخرى تدل على مدى بطشهم وهي سرق البيوت وسرقة المحال التجارية وهدم الحدائق وإسقاط أعمدة الكهرباء بالدبابات حتى انتهى بهم الأمر في اقتحاماتهم بإحراق البيوت وهذا الأمر أشد إيلاماً على صاحب المنزل أن يرى بيته أو بيوت بلدته تحرق من بعيد ولا يستطيع أن يفعل شيئاً وبدلاً من أن يسكب الماء لإخماد حريقه، يذرف دموعاً لإخماد حرقة قلبه، ذلك البيت الذي تربى فيه وعاش فيه والذي أعطاه كد جسمه وحياته يُحرق بأقل من ساعة، والأقسى من ذلك أن ترَ صاحب البيت محرقاً في البيت، كانوا يكبلون صاحب البيت إن وجدوه فيه ومن ثم يحرقونه في بيته، يأتي أصحاب البلدة أو الحي المقتحم بعد انسحاب القوة الأمنية حيث يجدونها خراباً كاملاً ويجدون الدخان لا يزال يتصاعد من البيوت ويجدون جثث متفحمة في البيوت المحروقة، جثث أُعدمت ميدانياً على أطراف الطرقات.

منظر يبكي القلوب والعيون معاً لكن الصمود الأكبر للشعب السوري حين يقوم بإصلاح كل ذلك الخراب ويدفنون قتلاهم ومن ثم بعد ذلك يتابعون مسيرهم الثوري، أحد الأشخاص في درعا أحرقت القوات الأمنية بيته ثلاث مرات في اقتحامات مختلفة، في كل مرة يقوم بإصلاح غرفة من غرفه ويسكن فيها وإذا علم أن هناك اقتحام تركه ورحل إلى أن ينتهي الاقتحام ليعود إليه ويراه محروقاً، يقوم بإصلاح جزء بسيط منه ليقول للعالم كله أن

الصراع على العيش أقوى من الصراع على الموت، مهما تكلمت عن الاقتحامات الأمنية فأنني لن أعطيها حقها بإجرامها ووحشيتها وانتهاك حرمات البيوت والجوامع ، والقتل وتهجير أهل البلدات، وأقسى لحظات تعيشها في الاقتحام حين تسمع أصوات بكاء من بيت جارك وأصوات بكاء يتعالى أما لمعتقل أخذوه أو لشهيد فقدوه، وأنت لا تسطيع أن تفعل شيء بوجود العناصر المكثفة، لا بل وتنتظر مصيرك بعد بيت جارك المماثل له، قد يستمر الاقتحام ثلاثة أيام متواصلة يستبيحون فيه البلدة أول المدينة المقتحمة، وهناك بلدات ومدن قد اقتحمتها القوات الأمنية سبع مرات وفي كل اقتحام يُفعل مايفعل من البشاعات، ومع هذا كله عاشت المدن وصمدت حتى حررت نفسها، الحياة الإنسانية صعبة جداً أثناء الاقتحامات عند كل اقتحام يحكمون طوقاً كاملاً على المدينة لا دواء ولا مشافي ولا غذاء، ومن ثم يبدؤون بإطلاق النار على البيوت عند إطلاقهم الرصاص قد تصيب طلقاتهم العشوائية أناساً آمنين في بيوتهم، ويقع شهداء في ذلك الرصاص ولا يعرفون أين يذهبون بالقتيل حتى يصل إليهم الجيش والأمن في تفتيشهم للبيوت فيأخذون القتيل إلى وقت متأخر لتسليمه، ويعتقل أحد أقربائه بحجة أن القتيل من الجماعات الإرهابية، أما المصاب خلال الاقتحامات فمصيره مجهول فقد يبقى ينزف بجراحه حتى يستشهد، وقد يأخذونه إلى الأفرع الأمنية فمصيره في ذلك الوقت أكثر غموضاً ، والاقتحامات في سورية تبدأ من حيث وحشيتها بالتدريج إلى أن وصلت إلى الإعدامات الميدانية التي طالت الأطفال والنساء وهي ذات منحنى طائفي، حيث يعدمون الطفل بالسكاكين دون أي رحمة أو إنسانية في قلوبهم، فكان أبشع تلك الإعدامات إعدامات حمص بمناطقها ودرايا في ريف دمشق، ولا يستثني إعدام الأفراد الذين يكونون مطلوبين للنظام سواءً أكان شيخاً فانياً أم شاباً ، من بينهم الرجل المسن الذي أعدموه في دوما حين اقتحموها في إحدى المرات، الذي خرج ذات يوم في المظاهرات وهو ينشد أبيات الفرح بالنصر على الاحتلال الفرنسي ، ليكررها لعدو أشد إجراماً من الاحتلال الفرنسي حيث كان يقول:

يا فتية الشـــام للعلـــياء ثورتكم

وما يـضيـع مـــع الـعلياء مجهود

جدتم فسالت على الثورات أنفسكم

علّمتُم الناس في الثورات ما الجود

أما الصورة القاتمة الأخرى الأشد همجية في الاقتحامات وهي صورة الاعتقالات حيث كانت قوات النظام تعتقل مئات الشباب في اقتحامهم للمدينة من المدن، منهم بتهمة التظاهر ومنهم بتهمة التحريض على التظاهر، أو بتهمة التسليح فيما بعد، ويقوم عناصر الأمن بجمع الشباب في ساحة من ساحات المدينة وتكبل أيديهم وراء ظهورهم وتغمض عيونهم ومن ثم يضعونهم في باصات ليذهبوا بهم إلى الأفرع الأمنية المختلفة، وفي طريقهم إلى الأفرع الأمنية يضربونهم ضرباً مبرحاً ويهينونهم بالطرق المختلفة حتى وصولهم إلى الفرع الأمني(القبر المؤقت)، وأتحدث هنا عن الأفرع الأمنية كواحد من السوريين الذين ذاقوا مرارتها واكتوى بنارها لأصف ما فيها من عين رأت وعاشت العذاب في هذه الأفرع.

اعتلقت في الثورة ثلاث مرات مختلفة في بدايات الثورة لأروي تفاصيلها الثلاث :

أما المرة الأولى كانت عند حاجز للجان الشعبية في مدينة قدسيا إحدى ضواحي دمشق، حيث استوقفنا الحاجز وقام بإنزالي من المركبة وقال لسائقها بأن يتركني ويذهب ويكمل طريقه، عرفت في تلك اللحظات أنهم يريدون أن يستوقفوني، لكنني كنت أشبه بالواثق من نفسي مع بدايات الثورة بأنني مررت بأكثر من حاجز عسكري ولم يستوقفني أحدهم، قال لي المجند: ادخل إلى الخيمة المعلم بدو ياك، دخلت فوجدت مجموعة من " المعاليم" وكانت أشكالهم كافة مثيرة للخوف حيث أطلقوا اللحى وحلقوا رؤوسهم وكانت أجسامهم ضخمة،

وعندما دخلت إلى الخيمة وجدت أحدهم يمسك بهويتي الشخصية وصاح بوجهي قائلاً : " من درعا.....

شو جاي تعمل هون"

وبدأ يكثر بالأسئلة ولا يفسح لي المجال بأن أتحدث أو أجيب على أي سؤال واحد إلا وقام آخر من الجالسين بضربي، لا أعرف لماذا يضربوني؟ فقط لأنني من محافظة درعا السورية ! ووجهوا السُباب والشتائم لي ولمحافظتي التي انتمي إليها.

أما الاعتقالين الثانيين أيضاً كانا في أيام الثورة الأولى كانت الأولى في المخابرات الجوية والأخرى في المخابرات العسكرية.

أما الأولى اعتقلوني دونما إكمال طريقي إلى جامعتي بتهمة أن هناك تشابه في الأسماء، أي أن هناك اسماً مطلوباً يشابه اسمك وعندما يأخذوك ستصبح أنت المطلوب دون أي منازع، في طريقي إلى الفرع بحافلتهم لا تعرف إلى أين تذهب ولا تسمع سوى صراخ من يضربون معك في الحافلة، فيداك مكبلة وعيناك مغطاة ولا تشعر بشيء سوى الضرب الذي تتلقاه ، عند وصولنا إلى الفرع يلقون بنا في ساحة الفرع الخارجية لعدة ساعات على ما نحن عليه، ولا نعرف أين نحن، يسأل بعضنا – أي المعتقلين- بصوت خافت أين نحن؟ لكن لا أحد يدري، يستطيع أحدنا أن ينزع قليلاً ممن في عينه ويتعرف على المنطقة المحيطة ويقول لنا: " يا شباب نحنا بالجوية"هنا أسلمت نفسي بأنني بأحد أفرع الأمن القاتلة، لكن يسيطر علي خوف وحزن على حالة أهلي الآن وعندما تأخرت عليهم في البيت في أوقات كثُر فيها القتل والاعتقال، أفكر كيف سأستطيع إيصال الخبر لديهم .....؟ لا أدري.

أسمع ضجة كبيرة حدثت في الفرع لا ندري ماذا يحدث، يأتي إلينا عناصر من الأمن كثيرون، ويقف عند كل واحد منا عنصر ويضع رأسنا على الأرض، فيقول أحدهم:" سيدي .....سيدي أجن السيارات"، يرد عليه سيده : " جيبوا الفطايس".

لا أعرف ماذا يقصد بها من كلمة خطر في بالي بأنهم ثوار استشهدوا وأخذوا جثمانهم، وخطر في بالي بأنهم جنود منشقون قاموا بتصفيتهم، لم يخطر في بالي أي شيء سوى ذلك، ثم بدؤوا برمي الجثث في السيارات وعلى صوت رمي الجثث يصيح العنصر الذي يضغط على رأسي قائلاً: " الداخل مفقود.....والخارج مولود" ، لم أعطِ لذلك اهتماماً أو تفكير بمعناه لأن ذهني مازال معلقاً بالجثث لمن هي؟ تذهب السيارات بالجثث وعندها يدخلوننا الواحد تلو الآخر إلى المعتقل، وعندما دخلت ورأيت كافة المعتقلين في صمت مطبق وأفواههم قد فُتحت نصف فتحة مع تسارع لعمليات التنفس لهم، حاولت أن أسأل عن حالهم لم يجرؤ أحد أن يكلمني، حتى همس في أذني أحدهم وقال لي: الآن أخرجوا ستة معتقلين من هنا إلى التحقيق وأعادوهم إلينا، لم يستطيعوا الوقوف حتى وقعوا على الأرض موتى جميعاً. أنهي كلامه وسكت.....

أدركت أن الجثث التي رموهنَّ في السيارات هي لأناس قاموا بإعدامهم عن طريق التعذيب.

وفي المرة الأخرى في الاعتقال كانت في فرع المخابرات العسكرية، حيث كان الاعتقال مشابه للمرة الأولى في الجوية من التعذيب والإهانة إلا أن هناك شيء يختلف عن المرة الأولى وهي تسميتهم لي: بالإسرائيلي، أي أنني متآمر مع الاحتلال الإسرائيلي في سبيل تخريب الوطن، والتآمر كان وفي يدي كتبي الجامعية وفي طريقي إلى الجامعة..... !

أما حال الأفرع الأمنية سواءً أكان الجوية أم العسكرية أو غيرها، يقومون بتحشيد عدد كبير من الناس في مهجع يقع تحت الأرض وتُقدر الأعداد في المهجع الواحد ما يقارب ٢٥٠ معتقل في مساحة صغيرة جداً لا تسمح لك في الجلوس أبداً وستبقى واقفاً طيلة فترة الاعتقال مع ضيق في التنفس والضرب المبرح الذي يتلقاه المعتقل،

ولا شرب فيها إلا من مصدرين:

أحدهما عن طريق ماء الحمام(أجلكم الله) الذي لا يسمحون لك بالخروج إليه سوى مرتين في اليوم تزيد أو تنقص، وعندما يسمحون لك في الخروج تشرب منه.

أما المصدر الآخر: عن طريق وعاء صغير يحضرونه إلى كامل المهجع ويشرب منه قسم صغير من المهجع فقط، بعض المهاجع في سورية ترى فيها الشمس بخيوط صغيرة وبعضها لا تراها فيها أبداً، فحين تكون في المهجع لا تعرف أي شيء عن العالم الخارجي حتى الأوقات والأيام لا تعرفها.

أما التحقيق الذي يجري على المعتقل حيث يخرج المعتقل إلى غرفة خاصة في التحقيق تُستعمل فيها كافة وسائل التعذيب، من المعتقلين من يستشهد تحت التعذيب ومنهم من يُمد في عمره، وأسوأ لحظات في الأفرع الأمنية عندما تسمع صراخ من كان معك قبل قليل ومصيرك مماثل له.

باختصار شديد في وصف الأفرع الأمنية في سورية حالها كحال الدجاج في المداجن من حيث زج الأعداد الكبيرة في الأقفاص والمصير الذبح عاجلاً أم آجلاً، بل والمداجن أفضل حالاً لأن صاحب المدجنة يقوم بالعناية بدجاجه من خلال تقديم الماء والطعام حتى ذبحها، أما حالنا فالذبح البطيء منذ الدخول إلى المعتقل، هذا هو حال المعتقلين في سورية..... الحرية لهؤلاء المعتقلين الذين يرون الويلات في سجون الأسد.

حاولت أطراف عدة تخفيف معاناة هذا الشعب، فكانت بعثة الجامعة العربية للجنرال " الدابي" الذي كان يخرج إلى المظاهرات ويشاهد سلميتها ويتفاجأ بإطلاق النار عليها من الحواجز العسكرية ويكون أول الهاربين بسيارته، فعندما دخلوا إلى درعا البلد في أول دخول لهم، استقبلهم الأهالي بأغصان الزيتون وعندما وصلوا إلى مقربة من حاجز عسكري قام الحاجز بإطلاق الرصاص العشوائي أدت تلك الحادثة إلى استشهاد طفل على مقربة من سيارة "الدابي" فيحمل الأهالي الطفل ويلجؤون به إلى مكان بعيد من إطلاق الرصاص ويرونه إلى "الدابي" فأجاب حين رأى الطفل ملطخاً بالدماء: " أنتم قتلتموه لتقولوا أن الجيش قتله "....!!!!

فسيارته نفسها قد لحقها إطلاق نار وشاهد بأم عينه الحاجز وهو يطلق الرصاص، وزور تقريره أمام الجامعة العربية لاحقاً،

تكرر أمر البعثة فيما بعد بلجنة المراقبين الأمميين، فكانت كسابقتها لم تحقق أي شيء من معاناة الشعب بل وزادت المعاناة بعد خروجهم ، بل وحصلت مجزرتان أثناء وجودها في ريف إدلب يندى لها جبين الإنسانية وهي مجزرة كفر عويد وكنصفرة في ٢٠ كانون الأول ٢٠١١م واستمرت هذه المجزرة يومين من القتل راح ضحيتها ما يقارب ٢٨٠شهيد، وهناك روايات تقول أن جميع أبناء هاتين القريتين الصغيرتين قد قتلوا بفعل هذه المجزرة المروعة، ثم بعد ذلك توالت المجازر وخاصة تلك التي أخذت صبغة طائفية، أي أن مجموعات من الطائفة التي تعلن تأييدها للرئيس تقوم باقتحام الحي مع الجيش والأمن ومن ثم يدخلون إلى البيوت ويقومون بإعدام كافة أهل ذلك البيت، أما طريقة إعدامهم مختلفة في البشاعة من الذبح بالسكاكين والإحراق وهم أحياء، لكن كانت الطريقة الأكثر شيوعاً هي الذبح بالسكاكين وتطال الأطفال بكثرة فهم يستلذون بقتل الأطفال ذبحاً تقرباً بذلك إلى الجنة التي وُعدوا فيها، كانت المحافظة التي نالت هذا الإجرام الأكبر بهذه الطريقة هي محافظة

حمص (عاصمة الثورة السورية) استحقت هذا اللقب بعظيم تقديمها وعظيم ضحاياها للثورة، كانت المحافظة ردفاً لدرعا مهد الثورة في كل شيء، لم تتقاعس يوماً من أيام الثورة ، لكن طبيعتها السكانية من تنوع مذهبي ووقوف أصحاب الطائفة المؤيدة للرئيس من النظام الإجرامي جعلها ضحية هذه الزمرة، فقد جعل النظام هذه الطائفة في خوف كبير من أهلهم من الطائفة الأخرى وعمل على دس الفتن كثيراً حتى وصلت إلى ما هي عليه، تعرضت هذه المحافظة لعدة مجازر كانت الأكثر تأثيراً في قلوب السوريين والعالم ، منها مجزرة الخالدية ٣شباط٢٠١٢م صادفت هذه المجزرة في ذكرى الثلاثين لإحياء مجزرة حماة ١٩٨٢م فقد كانت في يوم الجمعة وسميت ب " جمعة يا حماة سامحينا" لكن النظام يأبى إلا وأن يحيي هذه الذكرى بالدم ومن أبناء شعبه مجدداً وإن اختلفت المحافظة فالدم السوري واحد .

بدأت مدافع الهاون تضرب على أحياء الخالدية في ذلك اليوم وشاركتها المدفعية الثقيلة في قصفها، فكانت وتيرة القصف شديدة جداً فكانت إحصائية القتل كبيرة أيضاً حيث استشهد ما يقارب ٣٤٠ شهيد في تلك المجزرة ثم تم تشيعهم حيث شاركت فيها أعداد كبيرة في التشييع، وطرقت أجراس الكنائس في حمص في ذلك اليوم أثناء تشييع الشهداء.

أما المجزرة الأخرى التي حصلت في حمص كانت لا تقل بشاعتها من سابقتها وهي مجزرة الأحياء كرم الزيتون والعدوية والرفاعي في ١٢أذار ٢٠١٢م حيث تعرضت الأحياء لقصف عنيف من مدفعية الهاون في صباح يوم الأثنين، وبعد هذا القصف دخل الحي شبيحة النظام وهم بغالبيتهم من اللجان الشعبية التي شُكلت في تأييد للأسد على أساس طائفي وبدأت هذه العناصر باعتقال العشرات من أبناء الحي ، ثم بعد ذلك فصلوا الرجل عن النساء والأطفال وبدؤوا بقتل الرجال حيث استغرقت عملية قتل الرجال أكثر من ساعتين، كلما انتهوا منهم أعادوا القتل فيهم حتى لا يبقى أحد منهم على قيد الحياة، ثم بعد ذلك صبوا فوقهم البنزين وأحرقوهم، أما الأطفال فذبحوهم ذبحاً بالسكاكين أمام أمهاتهم، ثم بعد ذلك

قتلوا النساء رمياً بالرصاص، بلغ عدد القتلى ٦٠ وفيما بعد حين تمكن الناشطون من العثور على كامل القتلى قُدرت الأعداد ب ١٤٤شهيد بينهم ٢٨طفل و٣٣أمرأة في تلك الأحياء، شهدت مثل هذه المجزرة ببشاعتها مناطق عدة في حمص أيضاً كالحولة حيث اقتحمتها القرى المؤيدة المحيطة بها بعد غطاء ناري ومدفعي كثيف من جيش النظام ، واقتحمت بعدها تلك الميليشيات التي ذبحت الأطفال بالسكاكين أيضاً وراح ضحية تلك المجزرة أعداداً كبيرة قُدرت ب ١١٠شهداء كانت تلك المجزرة في جمعة الخامس والعشرين من أيار ٢٠١٢م، كانت الجمعة تحت مسمى(دمشق موعدنا القريب) والمجزرة هذه حصلت أمام أعين المراقبين الدوليين.

تكرر هذا النوع من المجازر في سورية، واسميتها بالمجازر الطائفية لأنها تحصد العشرات من المواطنين والمدنيين الأبرياء فتطال الصغار كما هو الحال الصغار والنساء لا يرحمون بذلك أحداً، وحصلت مثل هذه المجزرة في القبير وفي التريمسة وكلاهما قرى صغيرة، كان المنفذ الأول لتلك المجازر هم اللجان الشعبية من الأحياء المؤيدة، هم بذلك هددوا السلم الأهلي الذي عاشت وتمتعت به سورية منذ عقود طويلة ، الشعب السوري الذي خرج في ثورته وكان يهتف: " واحد..... واحد .....الشعب السوري واحد "، استطاع النظام أن يجلب قسماً من مؤيديه إلى صفه ليرتكبوا المجازر معه مشكلاً بذلك شرخاً في التعايش بين السوريين.

شهدت حمص معركتين تركتا وصمة عار في جبين الإنسانية :

أما الأولى : كانت معركة بابا عمرو ذلك الحي الذي سُمي رمزاً للصمود أمام آلة الأسد وعتاده، حصلت تلك المعركة في ٥شباط واستمرت إلى ٢٨شباط من عام ٢٠١٢م، استخدمت قوات النظام كافة الأسلحة الثقيلة مع حصار كامل للحي مع انقطاع للكهرباء بشكل كامل حتى توفي عدد من الأطفال الخدج في حاضناتهم، استمرت الحلمة على بابا

عمرو ثلاثة وعشرين يوماً قُتل فيها مايقارب مئة قتيل من بينهم الناشط أحمد السيد الذي صور أغلب مقاطع باباعمرو، صمد الحي بأسلحة خفيفة أمام عتاد جيش كامل الذي اقتحم الحي بالدروع البشرية وتحت غطاء صاروخي كثيف، أعلن الجيش الحر انسحابه من الحي بعد أن أجلى كافة الجرحى والقسم الأكبر من الأهالي، عندما دخلت قوات النظام أحرقت قسم كبير من البيوت ليدخلها بعدها بأيام رأس النظام كرمز للثورة واستطاع أن يكسره، لأنه قد سمع تحدياً من أحدهم إن استطاع أن يدخل على بابا عمرو شخصياً ستتوقف الثورة!

لكن بابا عمرو لن تنكسر وستبقى بابا عمرو وسيفنى الأسد.

أما المعركة الأخرى التي كانت منعطفاً في تاريخ الثورة السورية وهي معركة القصير في ١٩أيار ٢٠١٣م استمرت المعركة أيضاً ١٨ يوماً ومن ثم يدخلها الجيش لكن أي جيش هذه المرة ليس جيش النظام وإنما جيش المقاومة حزب الله ، منطقة سورية يعلن النظام المعركة عليها لكنه لم يستطع أن يتوغل فيها، فاستغاث سيد المقاومة برجاله إلى إسرائيل لتحرير فلسطين لكن تغير اتجاه المكان، فالمكان هو أرض سورية والأعداء هم سوريون وهم من احتضنهم في حربهم جنوب لبنان مع إسرائيل ٢٠٠٦م نزلوا ضيوف على الشعب السوري من شماله إلى جنوبه فقام السوريون بإفراغ منازلهم وإسكانهم فيها وقاسموهم لقمة عيشهم، لكن الآن حان وقت رد الجميل للشعب السوري حيث أحرقوا البيوت التي آوتهم ذات يوم وقتلوا أهلها بل ووزعوا الحلوى عند دخلوهم إلى القصير وقتلهم أبناءها ، أي عارٍ هذا ؟!

هل استطاعوا أن يحرروا فلسطين من اليهود كما هو مشروعهم المقاوم؟

وهل وزعوا الحلوى في الضاحية الجنوبية عندما مات أحد قادات بني صهيون؟؟؟ لاااااااااا .....الشعب السوري أحق أن توزع الحلوى على دمائه، فقط استذكر أياماً حين

كانت صور وأعلام حزب الله تملأ شوارع سورية بكامل محفظاتها، لكن بعد هذه الأحداث من سيحب هذا الحزب بعدما تلطخت أيديه بدماء الأبرياء السوريين، أتساءل في الوقت نفسه: هل كان للحزب أن يفقد مقاومته المزعومة لو بقي على الحياد من الثورة السورية؟.

مضى عام ٢٠١٢م على الثورة السورية وهو عامها الثاني حاله كحال العام الذي قبله من عمر الثورة بل وأكثر دموية، وكلما طال أمد الثورة ازدادت دمويتها، لكن الأبرز في هذا العام من بعد المجازر هو معركة حلب الكبرى، تلك المحافظة التي صمتت قليلاً وأرعبت النظام كثيراً، اعتبرها النظام بأنها مؤيدة له وكان دائماً يتغنى بأن حلب من أكبر المحافظات فهي مؤيدة للنظام، وإنما حلب كغيرها من المحافظات رفضت الأسد عن حكم البلاد، وإنما تأخرت حلب في الالتحاق بركب الثورة بسبب أن بعض من تجارها وأثريائها ربطوا مصالحهم بمصالح النظام وجعلوا بقاءهم ببقائه وزوالهم بزواله، وقامت بعض العشائر فيها بتجنيد أبناءها وقام النظام بتسليحهم حتى أصبح عددهم ما يقارب ٣٠ألف رجل عُرفوا بالشبيحة، بدأت معركة حلب في ٢٢تموز ٢٠١٢م ببضع آلاف قدموا من القرى والبلدات المجاورة أمام جيش يمتلك ترسانة عسكرية ضخمة، ثم أعلنوا سيطرتهم على حي صلاح الدين ومن بعده أحياء سيف الدولة والصاخور والسكري ومساكن هنانو، أعلن النظام لمرات مريرة أن قوات من النخبة ستصل حلب في ساعات قليلة وستطرد الإرهابين إلى قراهم ومازالت تلك الساعات القليلة رهن التنفيذ، وأين هم قوات النخبة ؟؟؟ لا ندري، ربما غرقوا في ميادين حلب، لكن النظام أراد أن ينتقم ويثأر فيها، لذلك أدخل الطيران الحربي لأول مرة بشكل واسع، وصعد بعدها القصف الجوي بالبراميل المتفجرة التي تلقيها المروحيات على أحياء المدنيين الآمنين لتقتل أكبر عدد ممكن منهم، مما ساعد معركة حلب على الاستمرار قطع طرق الإمداد للنظام في كل من جبل الزاوية وسراقب وأريحا.

تسير الثورة بأحداثها المؤلمة من قتل وتدمير وخراب وتهجير، ولم تتوقف المجازر بحق الشعب الثائر فكانت في منتصف عام ٢٠١٣م مجزرة أشبه بمجازر حمص الطائفية من حيث القتل وأساليب القتل، فكانت مجزرة بانياس والبيضا حيث اقتحمها عناصر من الميليشيات المؤيدة للنظام ونفذت مجازر مرعبة بحق الأهالي وبعد قصف بري وبحري وجوي طال المدينة، اقتحم الجنود البلدة وراحوا يذبحون الأطفال بالسكاكين وطال القتل النساء والرجال ومن ثم أحرقوهم في بيوتهم، قُدرت أعداد هذه المجزرة البشعة أكثر ١٥٠شهيد وصُنفت مثل تلك المجازر بمجازر التطهير العرقي حيث يتم الذبح فيها على أساس مذهبي يطال الصغار والكبار بلا استثناء.

أما ريف دمشق الصامد فقد سطر أسمى معاني البطولة في الصمود ولا سيما في ضريبة الدم الكبيرة التي دفعتها مدن ريف دمشق بدءاً من مجزرة داريا الدموية حيث قوات الفرقة الرابعة ونفذت فيها إعدامات ميدانية كبيرة قُدرت بما يقارب ٢٢١شهيداً منهم ١٢٢شهيداً كانوا قد لجؤوا إلى مسجد من القصف وعندما دخلت القوات النظام عثروا عليهم فقاموا بإعدامهم جميعاً، لكن هذه المجزرة الكبيرة لم تقضِ على روح الصمود في داريا فجيش النظام لم يدخلها مجدداً بعد هذا الاقتحام، وقد حاول مراراً وصب لجام غضبه عليها لكنها باءت كل محاولاته بالفشل في دخوله إليها، ضاق النظام ذرعاً في ريف دمشق الذي أرعب الأسد في مضجعه من خلال الانتصارات التي يحققوها الثوار فقام النظام فيما بعد بقصف ريف دمشق وبالتحديد الغوطتين الشرقية والغربية، قام بقصفهما بالسلاح الكيماوي، غريب في زمننا (العصر الحديث) أن يُقصف شعب بالغازات السامة ومن جلاده دون أي رادع له .

النظام لو لم يأخذ الضوء الأخضر لما استعمل ذلك السلاح على شعبه، حصلت تلك المجزرة في ٢١آب ٢٠١٣م تباينت المواقف والردود على المسرح الدولي، هذا يهدد بضربة عسكرية وآخر يندد بها، وآخر يتهم الثوار هم من قتلوا أبناءهم وفلذات أكبادهم حيث

قاموا بحبسهم في البيوت ثم ضربوا عليهم الكيماوي حتى يقولوا أن الأسد هو الذي ضرب الكيماوي على الشعب، والأسد في قصره حزين ويبكي على ضحايا تلك المجزرة !

خرجوا فيما بعد بقرار تسليم السلاح الكيماوي فيوافق عليه النظام بأقل من ٢٤ساعة على أن يتابع قتله شعبه بالبراميل المتفجرة وصواريخ السكود فهذا مباح والكيماوي لا ؟ !

راح ضحية تلك المجزرة البشعة ما يقارب ١٥٠٠شهيد أي أن ما سقط في حرب إسرائيل على غزة في مدة شهر قتله النظام في ريف دمشق في يوم واحد بل في ليلة واحدة .

أما في درعا مهد الثورة بعدما وضع النظام فيها ما يقارب ٣٠حاجزاً في منطقة درعا البلد حيث لا تتجاوز المسافة ما بين الحاجز والآخر ٢٠٠ متر ، فكانت هذه الحواجز إذا ما أرادت أن تعلن حظراً للتجول في يوم من الأيام قنصت رجلاً أو اثنين في صباح ذلك اليوم، فيخاف البقية ولا يخرجون من بيوتهم، أعلن الثوار فيما بعد معركة تحرير درعا البلد في مطلع ٢٠١٣م سُميت " معركة الرماح العوالي" وبدأت هذه المعركة بعدة حواجز في مواقع حساسة في البلد على أمل أن يتم إخراج الجيش منها وترجع لصالح الشعب كمبنى البريد والفرن الآلي في المدينة والجوامع في الحي، لكن كان النظام لا يخرج من الحاجز إلا بعد تخريبه بالكامل فالنظام لا يعرف إلا الهدم فقد كان يحرق الحاجز إذا ما أراد أن ينسحب منه، وقد تمكن الثوار من تحرير

الجامع العمري (الذي انطلقت منه الثورة) بعدما استعمره جيش النظام منذ دخولهم إلى مدينة درعا، بعدما قام الثوار من تحرير الجامع سلط النظام قصفه على الجامع وعلى مأذنته الأثرية حتى هدمها بالكامل في ١٣ / ٤ / ٢٠١٣ م كما هدم مآذن الجوامع في المدينة، وكما هدم الجامع الأموي في حلب.

هذا هو حال ثورة الكرامة منذ أيامها الأولى تعيش القتل حيث من المستحيل أن يمر يوم من أيام الثورة دون أن تُزهق فيه نفس بريئة في سورية منذ انطلاقها ١٨أذار ٢٠١١م إلى يومنا كل يوم يسجل فيه شهداء، ما كان يريدها الشعب المظلوم هكذا، لكن النظام الدموي هو الذي جعلها حمراء من لون الدم، وإنما هي بأصلها ثورة شعبية بسيطة لا يوجد في البداية أي مخططون أو قادة لها فهي لم تكن للنزاع على السلطة ولا هي حرب أهلية كما يطيب للكثيرين تسميتها، فهي ليست حرب أهلية بل هي ثورة شعبية منذ نشأتها وستبقى إلى انتهائها، وإن كان قد دخل فيها عناصر من خارج سورية لكنها سيبقى جوهر الثورة بأنها ثورة حرية ضد سلطة أمنية قمعية، حاول النظام أن يشوهها كثيراً، ولكل نظام حمقى يصفقون له مهما يفعل إن انتصر الحاكم انتصروا وإن سقط الحاكم لعنوه وشتموه، ومنهم أبواق النظام الذين يخرجون على القنوات الفضائية العالمية يمجدون حاكمهم ويشتمون الثائرين ضده، وأنا أتساءل في هذه الأبواق التي تدافع عن المجرم أنه حين يدافع رجل عن أحد يدافع عن حق وقضية وكرامة وليس عن إنسان مصيره الزوال عاجلاً أم آجلاً.

أما إعلام النظام الهزيل منذ قبل الثورة نحن بدورنا السوريين تعودنا الكذب على وسائل الإعلام السورية حتى في نشرات الأخبار الجوية كنا إذا أردنا أن نسمع إلى النشرة الجوية نستمع إلى القناة الأردنية بما أننا على حدود معها ومناخنا هو نفس مناخ المنطقة الشمالية منها، عمل الإعلام السوري منذ البداية على تزوير الحقائق وقلبها حيث كان في البداية يحول الشهيد الذي سقط برصاصهم إلى ميت بسكتة قلبية، أما على الصعيد العسكري وخاصة بطولات الجيش العربي السوري حيث لا يكاد يخلو يوم على شاشة التلفزيون السوري إلا وقضى فيه على عشرات الإرهابيين ودمر سياراتهم واقتحم أوكارهم، وجميع الإرهابيين هم جبهة النصرة أو سعوديين وهكذا، لكن أبشع وأقبح ما يفعله هذا الإعلام الكاذب أنه حين يُقتل شخص مدني يدرج اسمه على شاشته أنه إرهابي، وأحياناً يُقتل طفل تقرأ بنفس اليوم عنه أنه إرهابي كبير ومتزعم مجموعة إرهابية وهو طفل!، وتارة يقتل أحد الموظفين لإحدى

الدوائر الحكومية يخرج الخبر نفسه، ومنها من قصصهم أن قناصاً استهدف بائع الليمون على عربته حين كان هذا البائع رجلاً مسناً ومعيلاً لعائلته في نفس الوقت وفي مساء ذلك اليوم نقرأ ذلك الخبر على شاشة التلفزيون السوري وبشكل عاجل: " القضاء على أحد أفراد جبهة النصرة في مدينة درعا" ثم وضعوا اسمه، اعتمد إعلام النظام بل النظام كله في هذه الثورة مبدأ اكذب... اكذب حتى تصدق، لكن كل ما كذّبه النظام حصل ووقع، قال في البداية عندما كانت الثورة سلمية أنها مسلحة وقد تسلحت فيما بعد، وقال النظام أن هناك عناصر من القاعدة في سورية في صفوف المعارضة فهو يقاتلهم وقد وجدوا أيضاً فيما بعد.

حاول مجلس الأمن أن يوقف معاناة الشعب السوري أكثر من مرة لكن يفشل بإفشال روسي وصيني لكافة القرارات، ونحن لا نكاد ننسى أن مجلس الأمن هو أكبر مستبد في العالم لأن الدول الكبرى في العالم وحدها تقرر مصير الشعوب، وإذا عارضت دولة من هذه الدول الكبرى أي قرار فيه منفعة أو مضرة لشعب من الشعوب يسقط ذلك القرار، وهذا ما حصل بما يخص قرار حول سورية.

يبقى الشعب أمام سلطة النظام الأمنية التي لا ترحم صغيراً ولا كبيراً، واذكر من وحشية قمعهم للمظاهرات أنها خرجت مظاهرة طلابية لطلاب مدرسة من المدارس وعندما رأوا الأمن قد جاء لتفريقهم هربوا ولم يبقَ أحد منهم، وحين وصول عناصر الأمن اعتقلوا رجلاً أخرساً، اعتقلوه بصورة وحشية وهو يصيح ولا يستطيع أن يتكلم، وعندما قال أحد أصحاب المحال التجارية لعنصر الأمن أن هذا الرجل أخرس، أجابه العنصر: " انقلع على محلك، شفناه عم يكبّر".

لقد كُتب لهذه الثورة أن يطول أمد انتصارها ولا ندري متى وكيف تنتهي، لكن الذي جعلها تطول هكذا وجعلها تتشعب اتجاهاتها بهذا الشكل هو وجود حلفاء للأسد كروسيا

والصين والعراق ، ولبنان متمثلاً بحزب الله، ولا ننسى سكوت الدول الكبرى على نظام الأسد مثل أمريكا وفرنسا وبريطانيا.

أما على صعيد ثورتنا كان سبب تأخيرها أيضاً الاختلاف الكبير ما بين فصائلها، وأينما وُجد الاختلاف وجدت الخسارة، فكان الاختلاف في جميع مناحي الثورة العسكرية منها والسياسية، لكن هذا قدر الثورة أن يطيل عمرها ومع إطالة عمرها عُرف الجميع من خلال هذه الثورة كان الشعب السوري والشعوب العالمية مخدوعة بهم وضعتهم الثورة السورية على حقيقتهم أمام العالم كله.

ومع طول أمد الثورة كان الشعب السوري في داخل سورية يعيش القتل والدمار والخراب ويتابع من جانب آخر ما تتوصل إليه الاجتماعات السياسية الدولية منها والمحلية، حتى تشكلت لدى الناس مجموعة منها تتناول الخبر من المحطات الفضائية ثم يجتمعون في مكان ما من الحي ومن ثم يبدؤون في مناقشة ذلك الخبر أغلب مناقشات هذه المجموعة من الناس كانت فيما يخص الوضع السوري الداخلي من حروب وتحريرات للجيش الحر، اذكر جانب من هذه المناقشات التي يمكننا أن نسميها "بالتحليلات الشعبية"

وهذه التحليلات تعبر عن بساطة الناس وبساطة تفكيرهم وهي أبعد من الجدية عن حقيقة الأمر.

ومن هذه التحليلات:

تحليل نزول أول قذيفة هاون على درعا.....

كان نزول أول قذيفة هاون على درعا مع وجود لجنة المراقبين العرب فكانت آراء الناس مختلفة بصوت ذلك الانفجار الغريب، ولم يتعود الأهالي على سماع مثل هذا الانفجار فكان تحليل الناس بأن الانفجار هو صوتي أما من الثوار وأما من الجيش، الحفرة التي يتكلم عنا

الناس بفعل تلك القذيفة هي حفرة صغيرة حفرها الأطفال ليلعبوا بها كرات زجاجية صغيرة، فالأطفال دائماً يلعبون في ذلك الشارع، قليل من الوقت تمر سيارات المراقبين العرب وتشارك في إسعاف الأطفال الذين تصوبوا بفعل تلك القذيفة ، فقد خلفت تلك القذيفة شهيد طفل وجرحى آخرين، لكن بساطة الناس دائماً تستبعد الأكثر تضرراً لاحقاً عرفنا أنه هاون وما هو الأعظم من الهاون.

أما التحليل الآخر هو : هو طائرة الميغ.....

طائرة الميغ التي لدى الأسد عندما تشن غارة جوية تهبط في أقل ارتفاعاتها ثم تضرب غارتها وتخترق جدار الصوت بعدها وترتفع

فكان تحليل أحد الناس البسطاء أن الميغ شبيهة بالسيارة يقوم الطيار بطفي المحرك مع إعطائها الغيار، ويقوم بعدها بإنزال الصاروخ من ثم يرتفع برفع قدمه عن " الدبرياج " فيشغل المحرك ويصدر ذلك الصوت المرعب.

أما التحليلات التي تناقش المواقف الدولية .....

كان عندما حضر لافروف وزير الخارجية الروسي اجتماعاً مع دول التعاون الخليجي في اجتماع يخص سورية، فكان التحليل مايلي:

أن دول التعاون الخليجي قدمت الرشوة للوزير الروسي على أن يغير موقفه، فهو في الظاهر سيبقى محافظاً على موقفه لكنه في الباطن سيغيره.

هذا نوع من التحليلات الشعبية لدى أناس بسطاء عاشوا الثورة بكل آلامها، أما التحليلات التي هي لأناس على مستوى في الثورة يخرجون بتحليلاتهم على القنوات

الفضائية، فكان تحليل أحدهم عند حصول تفجير خلية الأزمة في العاصمة دمشق وقتل أغلب من فيها من القادة وخرج أحدهم قائلاً ومحللاً :

أن بشار الأسد أصابه الذعر والخوف من ذلك التفجير، فهو يبحث عن مخرج آمن من سورية، وتوقع أنه بأقل من ٢٤ساعة سوف يغادر سورية!! وإن ساعة عند المعارضين كسنة عند الثوار.

ومن التحليلات التي كانت تخص سقوط الأسد تحليل المعارض هيثم المالح حين خرج على إحدى القنوات الفضائية، وقال سقوط الأسد بات وشيكاً، كانت كلمته في أول الثورة وفي أول خروجه من سورية، سألته المذيعة: كم وشيكاً، وبكم تقدرها؟

فقال: أسابيع.... ومضت سنوات ونحن ننتظر هذه الأسابيع.

وذلك كله أكثر تقبلاً من تحليلات قنوات النظام التي تلم غباء واضح، فمنها تحليل مظاهرة أول يوم في درعا:

أن أهالي درعا البلد يخرجون من صلاة الجمعة ويلتقون بأهالي درعا المحطة في وادي الزيدي الذي يفصل بين منطقتين، ويسلمون على بعض ومن ثم يذهب كل منهم إلى بيته، لكن هذه المرة أي يوم الجمعة ٢٠١٣/٣/١٨م حصل خلاف أدى إلى شجار وسقط من خلال هذا الشجار قتيلان مما أدرى إلى تدخل قوات الأمن.

وفيما يخص المظاهرات أيضاً خروج أهالي حي الميدان في مظاهرة كبيرة شكراً لرب العالمين على نعمة المطر، لكنهم نسوا أن يقولوا شكراً للقائد، أو حملوا صوره على نعمة المطر.

وأكاذيب الإعلام السوري كثيرة فيما يخص الثورة وغير الثورة.

هذا هو حال ثورتنا

أكثر من ٧ملايين سوري فقدوا منازلهم.

حوالي ٥ مليون لاجئ خارج سورية في الدول المحيطة.

حوالي ٧ مليون نازح في داخل سورية.

أكثر من ٣ملايين طفل فقدوا حقهم من التعليم.

وحسب إحصائيات المنظمات الدولية أن عدد الشهداء أكثر من ١٥٠ ألف شهيد والمعتقلون أكثر من مليون ، لكن العدد يفوق ذلك بكثير.

وهناك إحصائية أجريتها بنفسي تبين متوسط ما استحقه المواطن السوري من نظامه أكان مؤيداً أو معارضاً، إلى تاريخ الثورة من عمرها ثلاث سنوات متوسط ما استحقه كل فرد سوري أكان صغيراً أو كبيراً وكان حاضراً أو غائباً فله من الذخائر التي ألقاها بشار:

كل شخص استحق: ٢٢٠٠طلقة كلاشنكوف بندقية

٧ طلقات رشاشة

١ قذيفة مدفعية

وكل ٣ أفراد لهم طلقة قناص

ولو انتشر جيش بشار على الأراضي السورية دون تعزيزات منطقة على حساب منطقة لكان متوسط كل حي أو مدينة تعدادها ٤٠ ألف نسمة له ما يلي :

طائرة و ٨ دبابات وألفي مجند.

النصر لثورتنا.....

والخلود لشهدائنا.....

والحرية لمعتقلينا.....

والشفاء لجرحنا .....

الفهرس

المقدمة	٥
الإهداء	٧
العين لا تقاوم المخرز	٩
القسم الأول	١٥
مملكة الخوف .... جمهورية الصمت	١٧
الطغاة في أرضنا تستنسر	٢٥
القوة ذات الحدّين	٣١
"حتى يغيروا ما بأنفسهم"	٤٣
القسم الثاني:	٤٩
ثورة الكرامة	٥١